

**International Islamic
University Islamabad
Faculty of Usuluddin
Department of
Tafseer and its
sciences**



الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد باكستان
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الروايات التفسيرية في البداية والنهاية للإمام ابن كثير رحمه الله (المتوفى ٧٧٤)
"من أول قصة موسى الكليم عليه السلام إلى آخر قصة عبادة العجل في غيبة كليم الله منهم"
(جمعاً ودراسة)

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن

تحت الإشراف

الأستاذ الدكتور أحمد حماد (حفظه الله)

إعداد الطالب

محمد عامر

محاضر في قسم التفسير وعلوم القرآن

رقم التسجيل: 224-FU/MSTQS/S23

العام الجامعي: 2024م-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا البحث المتواضع:

إلى والدي الكريمين حيث ربباني تربية صالحة، وغرس في قلبي حب العلم وأهله، وعلماني الجد والمثابرة في طلب العلم الشرعي، وأسأل الله أن يرحمهما كما ربياني صغيرا.

وإلى أساتذتي الكرام الذين قاموا بنصحي وتوجيهي وبذلوا قصارى جهودهم في الوصول إلى أعلى المراتب العلمية.

وإلى أصدقائي الأوفياء الذين وقفوا بجاني في السراء والضراء، وإلى كل من أعانني على تحصيل العلم الشرعي حتى وصلت إلى هذه المرحلة.

وإلى جميع الذين جاهدوا في الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا وأسأله سبحانه أن يجزيهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أشكر الله تعالى على جميع نعمه الظاهرة والباطنة قديما وحديثا وعلى توفيقه الذي به تتم الصالحات، ثم أشكر والدي الكريمين الذين رباني تربية إسلامية، ائلا الله تعالى أن يرحمهما كما ربياني صغيرا، وأرى من الواجب علي أن أشكر قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد التي أتاحت لي فرصة الدراسة في مرحلة الماجستير لا سيما رئيس الكلية الأستاذ الدكتور تاج أفسر حفظه الله ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن الأستاذ الدكتور أحمد حماد حفظه الله، الذي أشرف على بحثي وبذل جهدا كبيرا أثناء الإشراف على رسالتي بملاحظاته القيمة واستفدت منه كثيرا، وأعم بالشكر جميع الأستاذة الكرام الذين لم يألوا جهدا في تزويدي بالعلم النافع، ولكل من ساعدني أثناء دراستي وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا في ميزان حسناتهم ويبارك فيهم ويسعدهم في الدارين.

الباحث: محمد عامر

224-FU/MSTQS/S23

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه،
أما بعد!

التعريف بالموضوع:

فإن القرآن الكريم كلام الله المنزل على قلب نبينا محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً، وهو هدى وشفاء لما في الصدور، ما أنه المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، ولذا كان من مهمة رسولنا ﷺ بيان ما أجمل من أحكامه للناس، قال تعالى:

وكان النبي قد بين لأصحابه معاني القرآن الكريم، ما بين لهم ألفاظه، ثم إن الصحابة -رضي الله عنهم- إذا أشكل عليهم فهم شيء من كتاب الله سألوه فيفسره لهم، ما أنهم كانوا يفسرون القرآن لتلامذتهم من التابعين، فنشروا ما علموه بحكمة وصيانة مع التحري والتدقيق، وقد دون العلماء الذين جاءوا في عصر التابعين ومن بعدهم تلك المرويات التفسيرية في مصنفاتهم، فكانت لهؤلاء العلماء أعمال مباركة ورثوها لمن بعدهم.

ومن أولئك العلماء الذين اعتنوا بالرويات التفسيرية في كتبهم العلامة الحافظ عماد الدين ابن كثير -رحمه الله- في كتابه المشهور البداية والنهاية الذي يعد من أجود وأهم المؤلفات التي خطها رحمه الله، فقد كان له اهتمام بالغ بالرويات التفسيرية في توضيح بعض الآيات القرآنية التي تمر بها أثناء سر الأحداث التاريخية، وكان من الضروري أن تجمع تلك المرويات الموجودة في كتابه وتدرس دراسة دقيقة، واخترت هذا الجزء من الكتاب للدراسة لكونه مشروعاً بحثياً سجله ثلاثة طلاب فجاء هذا القدر في نصيب دراستي، فجعلت عنوانه:

الروايات التفسيرية في البداية والنهاية للإمام ابن كثير (المتوفى ٧٧٤ هجرية)

(من أول باب قصة موسى الكليم عليه السلام إلى آخر قصة عبادة العجل في غيبة كليم الله منهم)

جمعا ودراسة

أسباب اختيار الموضوع:

1. مكانة الإمام ابن كثير ومنزلته بين العلماء.
2. خدمة هذا الكتاب ولو بشكل يسير لعل الله ينفعنا ويرفعنا بخدمته.
3. الاطلاع على مخفي المرويات الحديثية الواردة في التفسير عن طريق المأثور.
4. دراسة المأثور من التفسير في كتاب ذي أهمية للإمام ابن كثير وهو البداية والنهاية.

5. الاقتراح من قبل بعض الأساتذة الأفاضل عن أهمية مرويات الإمام ابن كثير التفسيرية.
6. كثرة الروايات التفسيرية في البداية والنهاية والمنتشرة في شتى أبواب الكتاب وذلك يقتضي جمعها في مكان واحد ودراستها دراسة تفسيرية.
7. اشتمال هذا الكتاب على المرويات التفسيرية الجديرة بالدراسة من رواية ودراية، لا سيما أنه لم يسبق من درسها من قبل.
8. رغبتى الشديدة في دراسة مرويات تتعلق تفسير القرآن بالمأثور، لأن الصحيح المأثور إذا ثبت عن الرسول ﷺ لم يعدل إلى غيره.
9. إثراء المكتبات الإسلامية بمجهود، عسى الله أن يجعله نفعا لهذه الأمة.

أهمية الموضوع:

تبدو أهمية هذا البحث فيما يلي:

- 1- يكتسب البحث مكانته من أهمية موضوعه، لأن علم التفسير من أشرف علوم الشريعة.
- 2- إبراز قيمة الكتاب في الدراسات القرآنية.
- 3- معرفة الصناعة التفسيرية في عصر ابن كثير رحمه الله.

إشكالية البحث:

1. هل هناك مرويات تفسيرية صحيحة متصلة السند في البداية والنهاية وكم عددها؟
2. هل المرويات التفسيرية في البداية والنهاية تشتمل على جميع سور القرآن؟
3. هل ابن كثير رحمه الله كان يعلق ويفسر كل رواية؟
4. ما عدد الصحيح والضعيف من المرويات التفسيرية في البداية والنهاية؟

منهج البحث وإجراءاته:

منهج البحث المتبع عند كتابة البحث في هذا الموضوع هو المنهج الاستقرائي الشمولي والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك بجمع المرويات التفسيرية من القدر المأخوذ وما يتعلق بها من تعليقات ابن كثير، ثم التحقق من صحتها، وعرض النصوص المستخرجة من كتاب البداية والنهاية وتحليلها.

وتفصيل ذلك كالتالي:

1. جمعت المرويات التفسيرية من القدر المأخوذ وما يتعلق بها من تعليقات ابن كثير.
2. تتبعت أحاديث رسول الله ﷺ التي تتعلق بموضوع القرآن الكريم من تفسير آية أو سبب نزول أو ناسخ أو منسوخ أو فضائل سورة ما.
3. جمعت أقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح فيما أثر عنهم في هذا المجال.
4. قمت بتخريج جميع المرويات وذلك عن طريق بحثها في بطون كتب السنة من الصحيحين وغيرهما، وقد قمت بذكر المصدر ثم رقم الجزء والصفحة ثم اسم الكتاب واسم الباب الذي يوجد فيه الحديث.
5. وضعت الترتيب التسلسلي للمرويات في داخل الرسالة.
6. جعلت عنوان مناسب لكل رواية تفسيرية.
7. ذكرت المرويات بين الشولتين بالخط العريض.
8. ذكرت أقوال المحدثين في بيان درجة الرواية ما عدا المرويات الواردة في الصحيحين.
9. شرحت ما اشتملت عليه المرويات من غريب الحديث وذلك بعد سرد الرواية.
10. تطرقت لذكر اللطائف المستنبطة من الروايات.
11. وضعت خاتمة البحث في آخر الرسالة، وبينت فيها أهم نتائج هذا البحث.
12. وفي الأخير وضعت الفهارس الفنية التي تساعد القارئ أن يستفيد من البحث.

الدراسات السابقة:

لم يتناول أحد المرويات التفسيرية خاصة من خلال هذا الكتاب البداية والنهاية بالدراسة حسب علمي، وقد خدم هذا الكتاب في رسائل علمية ومقالات صغيرة الحجم، منها:

1. إسهامات الحافظ ابن كثير في النقد التاريخي من خلال كتابه البداية والنهاية، للأستاذ محمد عيساوي، مقالة علمية بجامعة محمد بوضياف المسيلة.
2. القيم التربوية في قصص الصحابة من كتاب البداية والنهاية (دراسة تحليلية)، للطالبة رهام بنت محمد بن عمر بإشراف د. طه بن طه مصطفى لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب والعلوم الإدارية بالجامعة أم القرى.
3. دفاع ابن كثير عن الصحابة - رضي الله عنهم - في كتابه البداية والنهاية (عرض وتحليل) للطالب ممدوح أحمد سليم بإشراف د عبد الله مرحول سالم لنيل درجة الدكتوراة في كلية الشريعة بالجامعة اليرموك الأردن.

4. منهج ابن كثير النقدي لمرويات السيرة النبوية في البداية والنهاية للطالب غرمان بن عبد الله الشهري، بإشراف الدكتور سليمان العودة، سنة ٢٠١٧ ميلادية، رسالة الدكتوراة بجامعة القصيم.
5. جهود الحافظ ابن كثير في نقد مرويات السيرة النبوية دراسة تفويجية، للطالبة حكيمة حفيظي، بإشراف الدكتور سهام عومارة، قدمت في الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند بالهند، سنة ٢٠٢٠.
6. ابن كثير وكتابه البداية والنهاية، للمؤلف معالي عبد الحميد حمودة، مقالة علمية بمملكة ليبيا سنة ١٩٩٠.
7. وسائل التعامل التجاري في كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، للطالبة ناجية عبد الله إبراهيم، بإشراف الدكتور رنا فتحي سعيد، في جامعة بغداد كلية التربية للبنات.
8. الأحاديث والآثار الواردة في كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي تخریجا ودراسة، للطالب إحسان أحمد، بإشراف الدكتور عمر المعروف، بجامعة أم درمان الإسلامية سودان كلية أصول الدين، وهو رسالة الماجستير.

خطة البحث

تتكون الخطة من مقدمة وتمهيد وفصلين والخاتمة والفهارس العلمية والموضوعات.

المقدمة:

تشتمل المقدمة على التعريف بالموضوع وأهمية الموضوع وأسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة وإشكالية البحث ومنهج البحث وخطة البحث.

التمهيد:

يشتمل التمهيد على النقاط الثلاثة:

النقطة الأولى: التعريف بالمؤلف الإمام ابن كثير الدمشقي.

النقطة الثانية: التعريف بالكتاب "البداية والنهاية" وذكر منهج المؤلف وأسلوبه.

النقطة الثالثة: منهج الإمام ابن كثير في إيراد الروايات التفسيرية في البداية والنهاية.

الفصل الأول: الروايات التفسيرية المتعلقة بقصة كلیم الله موسى مع فرعون.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الروايات التفسيرية التي وردت في نشأة موسى وحياته.

المبحث الثاني: الروايات التفسيرية التي وردت في هلاك فرعون وجنوده.

المبحث الثالث: الروايات التفسيرية التي وردت في أمر بني اسرائيل بعد هلاك فرعون.

الفصل الثاني: دخول بني إسرائيل التيه ونحوه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دخول بني إسرائيل التيه.

المبحث الثاني: سؤال الرؤية.

المبحث الثالث: قصة عبادة العجل في غيبة موسى عليه السلام.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على الآتي:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الأعلام المترجم لها.
- ٤- فهرس المصادر والمراجع.
- ٥- فهرس الموضوعات.

التمهيد

ويشتمل على ثلاثة نقاط:

النقطة الأولى: التعريف بالمؤلف الإمام ابن كثير رحمه الله.

النقطة الثانية: التعريف بالكتاب "البداية والنهاية" وذكر منهج المؤلف وأسلوبه.

النقطة الثالثة: منهج الإمام ابن كثير في إيراد الروايات التفسيرية.

النقطة الأولى

التعريف بالمؤلف الإمام ابن كثير رحمه الله

عاش ابن كثير -رحمه الله- حياته الكاملة في القرن الثامن الهجري وقضى حياته كلها في دمشق حاضرة بلاد الشام، وكانت بلاد الشام في ذلك العصر مع مصر تحت حكم دولة المماليك البحرية، ويعتبر هذا القرن من القرون العجبية في تاريخ الإسلام، وفيه من المتناقضات الشيء الكثير من النواحي السياسية والدينية والعملية والفكرية والاجتماعية، فحصل كثير من المجاعات والانتشار بين الناس بسبب هذا، ولكن مع ذلك قد انتشر في هذه الفترة العلم وكثرة التأليف في شتى العلوم، وبرز كثير من المجتهدين والحفاظ كابن تيمية والحافظ الذهبي والمزي وابن كثير وغيرهم¹، وفيما يلي ذكر ترجمة موجزة لابن كثير رحمه الله وبيان أهم الجوانب الشخصية للصيقة به.

أولاً: اسمه ومولده ونشأته:

هو الحافظ المفسر المحدث المؤرخ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن كثير، ولد ابن كثير سنة 701 هجرية في مدينة بصرى دمشق²، ونشأ في أسرة عرفت بالعلم والأدب والشرف، فقد كان أبوه شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير عالماً فائقاً وخطيباً جيداً في قرية مجدل إلى أن توفي والده في سنة 703 هجرية وبقي ابن كثير بعد وفاته تحت رعاية أخيه كمال الدين عبد الوهاب، وترعرع في طفولته في هذه القرية لمدة أربع سنوات³، ثم انتقل بأخيه عبد الوهاب إلى مدينة دمشق سنة 707 هجرية التي كانت مركز العلم والعلماء في ذاك الوقت، وبدأ ابن كثير بطلب العلم في وقت مبكر من حياته، وأكمل حفظ القرآن الكريم، ولم يتجاوز العاشرة من عمره على الشيخ محمد بن أبي الحسن المتوفى 730 هجرية⁴، وبعد ذلك اتجه إلى دراسة العلوم الشرعية وبخاصة الفقه والحديث وما يتصل بهما من علوم القرآن والسنة واللغة العربية، وبدأ بتحصيله مباشرة من أخيه كمال الدين عبد الوهاب وكان بمثابة الأب والأستاذ الأول له، ولم يزل يشتغل بطلب العلم وحصوله حتى أثمر التلقي عن الشيوخ في حياته وصار عالماً بارعاً في علوم كثيرة، ويشار إليه بالبنان ولم يزل شاباً.

¹ ينظر ابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي ص16، الناشر: دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى.

² ينظر طبقات المفسرين لمحمد بن علي المالكي 111/1، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

³ ينظر البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المعروف بابن كثير 37/16، الناشر: دار ابن كثير الطبعة السادسة، المحقق:

محي الدين ديب مستو.

⁴ المصدر السابق 231/16.

وعكف ابن كثير على العلم والتعليم، وتولى التدريس في عدة المدارس الدينية المتخصصة، ودرس علوما عدة منها التفسير والحديث والفقه، وقعد للتدريس إلى آخر عمره وانتفع به خلق كثيرون، وبدأ التدريس في المدرسية النجيبية بدمشق، وأول درس فيها كان 11 جمادى الأولى من سنة 736 هجرية¹، وكان يلقي في الجامع الأموي دورس تفسير القرآن وكان درسا حافلا ومشهودا يتطلع أهل دمشق إلى الاستفادة منه واجتمع فيه الطلاب والقضاة والأعيان، وخصص الأمير منحة للطلاب الذين يحضرون الدرس.²

وسكن ابن كثير في دمشق واستقر بها مقاما وصار عالما من علمائها وخطيبا ومدرسا فيها وكان وفيها لها فكتب تاريخها ووصف أفرانها وانتصاراتها وشارك في أحداثها فلم يفارقها حتى مات ودفن فيها.

ثانيا: شيوخه ورحلاته في طلب العلم:

الرحلة في طلب العلم من سمات العلماء، والحافظ ابن كثير يشغل نفسه منذ طفولته بطلب العلم، وبدأ على يد أخيه عبد الوهاب، ثم اتجه في تحصيله إلى كبار علماء عصره وسافر إلى عدة بلاد والتقى فيها بأهل العلم واستفاد منهم، ومن البلاد التي سافر إليها بعد دمشق هي: القدس، نابلس، بعلبك، القاهرة.³

فحرص ابن كثير في تحصيل العلم وجهده المتواصل له، جعله إماما عالما، فقيها بارعا، هذا كله بمصاحبته لعلماء الكبار في عصره، هناك كثير من العلماء الذين أخذ منهم ابن كثير العلم وسمع منهم وترى على أيديهم، فيما يلي أذكر بعض أسماء مشايخه مختصرا حسب سني وفاتهم:

1. أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد المعروف بابن الزملكاني، المتوفى سنة 727 هجرية، درس عليه ابن كثير الفقه وحضر دروسه وأثنى عليه قائلا: فلم أسمع أحدا من الناس يدرس أحسن منه، لا أحلى من عبارته، حسن تقريره، صحة ذهنه، حسن نظمه.⁴

2. شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة 728 هجرية، هو من أجل شيوخه ابن كثير وأحبه حبا عظيما، وأخذ عنه فأكثر من آراءه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتنح بسبب ذلك⁵، ولازمه وبقي معه وكان من خواص أصحابه الذين حضروا إلى قلعة دمشق عند وفاته، وقبّل وجهه عند غسله ووصف جنازته الكبرى.⁶

¹ ينظر البداية والنهاية 269/16.

² ينظر المصدر السابق 468/16.

³ ينظر "ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسر" للرحيلي ص 96.

⁴ ينظر البداية والنهاية 204/16.

⁵ ينظر طبقات المفسرين 113/1.

⁶ ينظر البداية والنهاية 213/16.

3. أبو محمد قاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي، المتوفى سنة 739 هجرية، أخذ عنه ابن كثير علم التاريخ وأثنى عليه وذكر وفاته أن قد حمله الناس على نعشه وهم ييكون حوله، وكان يوما مشهودا.¹
4. أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزني، المتوفى سنة 742 هـ، لازم ابن كثير هذا الشيخ الكبير وانتفع به، ووقراً عليه صحيح البخاري وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ثم صاهره فتزوج ابنته، وصار قريباً منه في بيته ومكثراً من الأخذ عنه، وترجم له، ووصف يوم وفاته.²
5. كمال الدين عبد الوهاب بن عمر بن كثير، المتوفى سنة 750 هجرية، وهو أخوه الشقيق الأكبر، وأنه بمثابة الأب والأستاذ الأول لابن كثير بعد وفاة أبيه وأخذ منه الشيء الكثير واستمر في ملازمته والاستفادة من علمه إلى وفاته كما سبق.³

ثالثاً: ثناء العلماء عليه:

- تبعوا ابن كثير -رحمه الله- المكانة العلمية والمنزلة الرفيعة في عصره، ومما يؤكد مكانته العلمية أقوال شيوخه ومعاصريه وتلاميذه، واعترف له أشياخه بمكانته العلمية وفضله، وأثنى عليه معاصروه وتلاميذه لمزاياه الرفيعة، وأوصافه الحميدة، وترحموا عليه، ومن ثناء هؤلاء العلماء عليه:
1. قال عنه شيخه الحافظ الذهبي: الفقيه المفتي المحدث البار، محدث متقن ومفسر نقاد، له عناية بالرجال والمتون والفقه.⁴
2. وقال شمس الدين محمد بن علي الحسيني أحد معاصريه: الشيخ الإمام العالم، الحافظ البار، أفتى ودرس وناظر، وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل.⁵
3. وقال تلميذه تقي الدين في مدحه: الحافظ الفقيه العلامة، يخنأ ذو الفنون، كان حافظاً متقناً حسن الأخلاق، ميل المعاشرة، تواضعاً، ثير الاستحضار، لم يخلف بعده مثله.⁶
4. وذكر الحافظ ابن حجر ترجمته قائلاً فيه: وكان كثير الاستحضار، سن المفاكهة، انتشرت تصانيفه في البلاد في حياته، انتفع بها الناس بعد وفاته.⁷

¹ ينظر المصدر السابق 288/16.

² ينظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 374/1، الناشر: دار الجيل بيروت.

³ ينظر البداية والنهاية 37/16.

⁴ ينظر تذكرة الحفاظ للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي 201/4، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.

⁵ ينظر ذيل تذكرة الحفاظ لمحمد بن علي الحسيني الدمشقي ص 57، الناشر: دار الكتب العلمية.

⁶ ينظر درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة لأحمد بن علي المقرئ 400/1، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، المحقق: د محمود الجليلي.

⁷ ينظر الدرر الكامنة 374/1.

رابعاً: تلامذته:

اشتغل ابن كثير رحمه الله بالتدريس في المساجد والمدارس واستفاد من علمه الكثير من الناس خاصة من الطلاب الديني لا يحصى عددهم، وأذكر من بعض تلاميذه فيما يلي:

1. سعد الدين سعد بن يوسف بن إسماعيل الشافعي، المتوفى 805 هجرية، قدم دمشق في صغره، وأخذ عن الذهبي وابن كثير، وقرأ عليه تأليفه اختصار علوم الحديث، وأذن له ابن كثير بالفتوى، وكان من العلماء الحذاق وأسن من بقي بالشام من الشافعية.¹
2. أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي 794 هجرية، رحل في طلب العلم إلى دمشق، وأخذ عن ابن كثير الحديث، وقرأ عليه مختصره في علوم الحديث، رثاه عند وفاته.²
3. أبو الخير محمد بن محمد الجزري الدمشقي 833 هجرية، أخذ عن ابن كثير الحديث، وأذن له ابن كثير بالإفتاء والتدريس.³
4. تقي الدين أحمد بن علي المقرئ 845 هجرية، ذكر ترجمة ابن كثير في كتابه درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة وقال: سمعت عليه بعدما كف بصره الحديث المسلسل بالأوليات، أجاز لي مسموعاته ومروياته.⁴
5. أبو العباس أحمد بن حجي بن موسى الدمشقي، تخرج في علوم الحديث على يد ابن كثير، أثني على شيخه ابن كثير وذكر صفاته وصرح بأنه لازمه ست سنين.⁵

خامساً: آثاره العلمية:

كان ابن كثير رحمه الله متفرغاً للتأليف مع أعماله الأخرى وموفقاً في كتبه ومصنفاته، وقدم للبشرية علماً غزيراً، وكتباً نافعة أصبحت مرجعاً للناس في عصره، وكذلك بعد وفاته وإلى اليوم، وأذكر بعض المصنفات المشهورة لابن كثير فيما يلي:

¹ ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحى بن أحمد بن العماد الحنبلي 78/9، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة الأولى، المحقق: محمود الأرناؤوط.

² ينظر الدرر الكامنة 397/3.

³ ينظر الضوء اللامع 256/9.

⁴ ينظر درر العقود 401/1.

⁵ ينظر شذرات الذهب 173/9.

1. البداية والنهاية:

هو كتاب في التاريخ الإسلامي العام، ويشتمل على تاريخ ما قبل الإسلام من بداية الخلق، وقصص الأنبياء والأمم السابقة حتى وصل إلى بيان أخبار وأحداث الجاهلية وسير الرسول ومعجزاته، وتاريخ المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ إلى عصره في القرن الثامن الهجري مرتبة حسب السنين، ويأتي في الأخير إلى بيان الملاحم والفتن وأشراط الساعة وأحوال الآخرة.¹

2. تفسير القرآن العظيم:

المعروف بتفسير ابن كثير وهو من أجل مؤلفاته، وأصح التفسير بالرواية وخاصة تفسير القرآن بالقرآن، واعتمد فيه ابن كثير على تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة النبوية، وكذلك ذكر أقوال الصحابة والتابعين، واهتم بذكر الأسانيد ونقدها، ببيان القراءات المختلفة وأسباب النزول للآية، والأحكام الفقهية فيها، وهو يعد من أكثر كتب التفسير بالرواية فائدة.

3. فضائل القرآن:

تناول ابن كثير في هذا الكتاب الأحاديث الواردة في فضائل القرآن وتاريخ جمعه وكتابته والأحرف السبعة وكيفية ترتيله، وقد نص ابن كثير في تفسيره على أن الكتاب فضائل القرآن هو مقدمة للتفسير.²

4. الفصول في سيرة الرسول:

وهو كتاب مختصر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتشتمل على بابين:

الأول: في بيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الثاني: في بيان شمائله وخصائصه وأعلام نبوته.³

5. اختصار علوم الحديث:

وهو كتاب يشتمل على مصطلح الحديث، وقد اختصره ابن كثير من كتاب ابن الصلاح، وفيه فوائد كثيرة.⁴

¹ ينظر البداية والنهاية 7/1

² ينظر المصدر السابق 499/5

³ ينظر الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص 80 الناشر: دار ابن كثير الطبعة الرابعة، المحقق: محمد العيد.

⁴ ينظر الدرر الكامنة 374/1.

سادسا: وفاته:

توفي الإمام ابن كثير -رحمه الله- بدمشق في شهر شعبان سنة 774 هجرية، وكان قد أضر في أواخر عمره، وكانت جنازته حافلة مهيبة، ودفن بوصية منه بتربة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، ارج باب النصر من دمشق.

ورقاه عند وفاته أحد تلاميذه بيتين من الشعر هما كالآتي:

لقد كنت طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبىد غزير

ولو مزجوا ماء المدامع بالدماء لكان قليلا فيك يا بن كثير¹

ويمكن أن يكون البيتين للشيخ محمد بن بهادر الزركشي² -رحمه الله- الذي ورد في ترجمته بأنه مدح لابن كثير بيتين.³

¹ ينظر ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسر للرحيلي ص 190.

² بدر الدين الزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ = ١٣٤٤ - ١٣٩٢ م) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين عالم بفقهاء الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاء.

³ ينظر الدرر الكامنة 3/397.

النقطة الثانية

التعريف بالكتاب "البداية والنهاية" وذكر منهج المؤلف العام فيه

التعريف بالكتاب:

إن الكتاب البداية والنهاية موسوعة تاريخية ضخمة ألفه الإمام ابن كثير في التاريخ عامة والتاريخ الإسلامي خاصة من ذكر مبدأ الخلق، للأنبياء والرسل وللسيرة النبوية وحوادث الحياة الإسلامية إلى عصره، وختمه بذكر الساعة وأشراتها وأحوال الآخرة.

1. مبدأ الخلق وقصص الأنبياء:

يبدأ الإمام ابن كثير -رحمه الله- كتابه البداية والنهاية بالحديث عن بداية الخلق ونشأة الكائنات فليخص في هذا القسم من مبدأ المخلوقات من خلق العرش والكرسي والسموات والأرضين، والملائكة والشياطين وكيفية خلق آدم وقصته مع إبليس وقصص الآخرين وحال الأمم السابقة وفق ذكرها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة إلى أخبار العرب في الجاهلية وأحداثها.

2. السيرة النبوية:

وفي هذا القسم انتقل الإمام ابن كثير -رحمه الله- إلى الحديث عن أخبار الجاهلية وأحداثها، حتى وصل إلى السيرة النبوية تفصيلاً مع التوسع في سيرة الرسول ﷺ ومغازيه ومعجزاته حتى وفاته، وألحق بها شمائل النبي ﷺ ودلائل نبوته.

3. تاريخ الإسلام:

وهذا القسم الثالث من الكتاب البداية والنهاية من أوسع الأقسام وأعظمها حجماً ومادة، مليئاً بذكر الحوادث والفتن والحروب الواقعة على المسلمين، وتطرق فيها الإمام ابن كثير -رحمه الله- إلى ذكر أحداث التاريخ الإسلامي منذ خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- حتى عصره في القرن الثامن الهجري.

4. الساعة وأشراتها وأحوالها:

وفي الأخير يأتي الإمام ابن كثير -رحمه الله- إلى سرد أحاديث الفتن والملاحم وأشرط الساعة، وانتقل بعدها إلى استعراض أحوال الآخرة ونهاية العالم، وهو المراد بالنهاية ويكون المضمون موافقاً مع العنوان البداية والنهاية. وتميز تاريخ ابن كثير بالجمع بين التفسير والحديث والفقه والتاريخ وينظم ابن كثير -رحمه الله- كتابه منذ مقدمة الكتاب حتى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم على حسب موضوعاتها، ثم بعد ذلك رتب الإمام ابن كثير كتابه حسب السنين من حيث بدأ بذكر سنة والأحداث المهمة التي وقعت فيها، ومع ذلك يتعرض لوفيات تلك السنة بالإيجاز والاختصار وترجمة الخلفاء والأمراء والعلماء والأعلام دون إسهاب.

منهجه العام في البداية والنهاية:

من خلال استقراء الأحداث التي أوردها الإمام ابن كثير -رحمه الله- يتبين بأنه لم يلتزم منهجا واحدا في كتابه، ولم يحدد من جوانب منهجه المتعددة إلا جانبا واحدا ذكرها في مقدمة الكتاب ألا وهو الإسرائيليات، وعذره في عدم تحديد معالم منهجه هو ضخامة الكتاب، وتعدد موضوعاته واختلاف طبيعة الموضوع، والاستحالة ذلك في التاريخ القديم، ولذلك غير منهجه حسب الأدوار التاريخية والأحداث التي عرضها.

ففي القسم الأول بدء الخلق والتاريخ القديم وفي القسم الرابع النهاية في الفتن والملاحم، إن منهج الإمام ابن كثير الالتزام بما ورد من ذلك من الكتاب الكريم والسنة النبوية والآثار المنقولة مع الالتزام الصحيح والحسن منها، كما أنه ذكر بعض الأخبار الضعيفة مع بيان ضعفها والأخبار الإسرائيلية التي لا تتعارض مع الكتاب والسنة.

وتجلى شخصية الحافظ ابن كثير -رحمه الله- العلمية والتاريخية من خلال هذين القسمين الأول والرابع محدثا أولا ومفسرا ثانيا، وعالما مستحضرا للكتب المتقدمة في علوم التفسير والحديث.

وأما في القسم الثاني من الكتاب الذي يتعلق بالسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين فالتزم فيه بالمنهج السابق من جهة، خاصة في الأخبار قبل البعثة والهجرة، اعتمد على رواية السيرة الأوائل، وما سجله ابن إسحاق والطبري وغيرهما في السيرة النبوية والأحداث التاريخية، ولكنه بقيت شخصيته في الاختيار والنقد ظاهرة، ودارسة الأسانيد والكلام على الرواة جرحا وتعديلا، وعدم إمهال المتن إذا ظهرت عليه علامات الغرابة والنكارة.

وأما القسم الثالث من الكتاب فيدور حول التاريخ الإسلامي العام فقد التزم فيه بسرد الأحداث التاريخية في الأمصار والبلدان حسب السنوات المتسلسلة سنة فسنة، حيث بدأ بذكر السنة على وجه التقييد والأحداث المهمة التي وقعت فيها، وتعرض الوفيات في تلك السنة بالإيجاز وقام بترجمة الخلفاء والأمراء والعلماء والأعلام دون إسهاب، وفيما يلي ذكر منهج الإمام ابن كثير -رحمه الله- العام مجملا في النقاط التالية:

أولا: ذكر الإسرائيليات:

وهذا المصدر الذي رسم منه لكتابه مأخذا في تاريخ الأقوام السابقة وأهل الكتاب على وجه الخصوص، فبين الإمام ابن كثير -رحمه الله- منهجه بوجه خاص ووضحه في مقدمة كتابه بأنه ذكر من الإسرائيليات ما أذن الشارع في نقلها مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما فيه تفصيل لمختصر أو تسمية لمبهم فذكره على سبيل التحلي والاعتضاد به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنما استناده واعتماده على كتاب الله وسنة رسوله مما صح نقله عنه ﷺ.¹

¹ ينظر البداية والنهاية 8/1.

فقد ذكر في كتابه من الإسرائيليات للاستئناس بها ونبه عليها في معظم الأحيان بأنها إسرائيلية، وبين بطلانها وفسادها إن كانت فيها من المبالغات أو الخرافات.

فمثلاً قال في باب ما جاء في سبع أرضين بعد ذكر الأحاديث في إثبات سبع أرضين، هكذا الأثر المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: سبع أرضين في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه، آدم كآدمكم وإبراهيم كإبراهيمكم، ثم قال ابن كثير: وهو محمول على أنه أخذه عن الإسرائيليات، الله أعلم.¹

وقال في باب ذكر ما يتعلق بخلق السماوات: وأما ما ذكر في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة جاءتهما فسألتهما نفسيهما، فأبت إلا يعلمهما الاسم الأعظم، فعلماهما، فقالت، فخرجت إلى السماء فمسخت كوكبا، ثم قال: فهذا من وضع الإسرائيليين ومن خرافاتهم التي لا يعول عليها.²

والتزم الإمام ابن كثير -رحمه الله- بهذا المنهج إلى حد بعيد، ورغم ذلك لم يسلم من إيراد بعض الإسرائيليات المحتوية على مبالغات، وتناقض مع القرآن والسنة، ولكنه قد ذكرها من باب الجمع ومتبعاً لمن سبقه من المؤلفين.

ثانياً: إيراد المصادر العلمية:

ذكر الإمام ابن كثير -رحمه الله- المصدر العلمي الذي استقى منه الأخبار والحوادث، وهذه هي أمانة علمية، وسرد الحوادث والأخبار من سيرة ابن إسحاق³ وتاريخ الطبري⁴ وتاريخ ابن عساکر⁵ وغيرها من الكتب السير والتاريخ ملخصاً مع الإشارة والإحالة على مصادره التي استقى منها معلوماته، واختصر بعض المعارك وأشار إليها موسعة.

فمثلاً قال عند ذكر نسب نبي الله هود -عليه السلام-: هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ويقال هو هودا هو عابر بن شالخ بن سام بن نوح، ويقال هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، بعد ذكر نسبه أشار إلى المصدر الذي أخذ منه هذه الأقوال قائلًا: ذكره ابن جرير في تاريخه.⁶

¹ ينظر البداية والنهاية 39/1.

² ينظر المصدر السابق 63/1.

³ ينظر المصدر السابق 228/4.

⁴ ينظر المصدر السابق 157/1.

⁵ ينظر المصدر السابق 316/1.

⁶ ينظر المصدر السابق 183/1.

واستفاد ابن كثير -رحمه الله- ممن تقدمه من كبار المؤرخين وأصحاب السير كابن إسحاق¹ والطبري وابن الجوزي وابن عساكر وغيرهم ونقل عنهم كثيرا في تاريخه.

ثالثا: مراعاة ضبط أركان الأحداث التاريخي:

اجتهد الإمام ابن كثير -رحمه الله- في ضبط مواقع الأحداث التاريخي وأركانها من زمان ومكان وأشخاص شاركوا فيه أو قاموا به.

فمثلا ذكر ابن كثير -رحمه الله- سن النبي ﷺ حين تزوج أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- أنه كان خمسا وعشرين من عمره، وأنها -رضي الله عنها- كانت مثل ذلك السن، وكان عمرها إذ ذاك خمسا وثلاثين سنة.² وذكر أسماء الذين شهدوا بيعة العقبة الأولى وأنهم اثنا عشر رجلا.³

وذكر عن يوم بعث الذي اقتتل فيه الأوس والخزرج، وذكر سبب تسميته، قائلا: بعث موضع بالمدينة وقعت فيه وقعة عظيمة بين الأوس والخزرج في أيام الجاهلية، وقتل فيها خلق كثير من أشرافهم.⁴ وهكذا وصف غار حراء عندما ذكر إتيان النبي ﷺ غار حراء قبل البعثة، قوله: وحراء يقصر ويمد ويصرف ويمنع وهو جبل بأعلى مكة، على ثلاثة أميال منها، عن يسار المار إلى منى.⁵

رابعا: ذكر الوفيات:

ذكر الإمام ابن كثير -رحمه الله- في نهاية كل سنة تحت عنوان ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان وذكر أسماء وتراجم الذين ماتوا فيها، خاصة من الخلفاء والأمراء والعلماء والأعلام، وذكر الترجمة أحيانا مطولة وأحيانا بإيجاز.

فمثلا ذكر تحت وفيات سنة 39 هجرية، وقال: توفي فيها عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود البدري سكن ماء بدر فنسب إليه ولم يشهد الوقعة بها على الصحيح، وقد شهد العقبة، وهو من سادات الصحابة.⁶ وقد خالف الترتيب في الجزء الأخير، فبدأ من سنة 738 هجرية بذكر الوفيات أولا ثم الأحداث التي حدثت فيها.

¹ محمد بن إسحاق بن يسار المدني (80 هـ - 699 / 151 هـ - 769م): حافظ، محدث، إخباري، نسابة، ومن قدماء مؤرخي العرب، ومن أبرز علماء وحفاظ الحديث، من أهل المدينة.

² ينظر المصدر السابق 88/3.

³ ينظر المصدر السابق 401/3.

⁴ ينظر البداية والنهاية 398/3.

⁵ ينظر المصدر السابق 192/3.

⁶ ينظر المصدر السابق 537/7.

خامسا: إيراد المسائل الفقهية والاستنباطات:

كان الإمام ابن كثير -رحمه الله- يتطرق أحيانا إلى بيان الأبحاث والمسائل الفقهية من حيث يذكر النص الشرعي ثم يوضح المسألة الفقهية، وأحيانا يعرض آراء العلماء فيها دون التعليق والترجيح، وتارة يوضح رأيه والترجيح فيها، وذكر الأدلة إن احتاج الأمر لذلك، وأيضا قد يهتم بفقه الحديث واستخراج الفوائد من النصوص وتوضيح الإشكال أو ما قد يلتبس على البعض.

فينظر للتمثيل كلامه حول حكم أكل لحوم الحمر الأهلية، ونكاح المتعة¹ ونسخ تأخير الصلاة بصلاة الخوف في حالة الجهاد.²

سادسا: شخصية المؤلف العلمية:

كان الإمام ابن كثير -رحمه الله- لم يكتف بنقل الأخبار والتعرض للحوادث فقط، بل يمتاز فوق ذلك بالتعرض لنقدها، وهذا يدل على عقل حر، وشخصية مستقلة، وعدم السكوت عن إظهار الحق، وهو ينقل الأخبار ويعلق عليها، وكذلك يعرض روايات كثيرة، وأقوال مختلفة ولم يقف عند هذا الحد بل يناقشها، ويبين درجة الأحاديث من حيث صحتها وضعفها، وكل ذلك بسبب صفته العلمية ومعرفته الواسعة، والباع الطويل في فنون الحديث وأحوال الرجال.

فمثلا ذكر ابن كثير رحمه الله عندما ذكر اختلاف المفسرين في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم، ورجح أنهم جميع الملائكة لدلالة السياق وعموم الحديث عليه.³

وذكر الروايات المتعلقة بانشقاق القمر في زمن النبي ﷺ ثم نقد على ما يذكر أن القمر سقط إلى الأرض ودخل في كم رسول الله ﷺ وخرج من الكم الآخر، قائلا: وهذا لا أصل له، وهو كذب مفتري ليس بصحيح.⁴ وأيضا ينظر كلامه حول ذكر آراء العلماء في الحديث المتعلق باحتجاج آدم وموسى -عليه السلام-.⁵

سابعا: ذكر الأشعار:

ذكر الإمام ابن كثير -رحمه الله- الأشعار التي قيلت في الوقائع التاريخية، سواء كانت بيتا أو أكثر، وكان يذكر أحيانا قصائد كاملة إلا أنه لا يكثر من ذلك في معظم الأحوال.

¹ ينظر المصدر السابق 310/4.

² ينظر المصدر السابق 185/2.

³ ينظر البداية والنهاية 115/1.

⁴ ينظر المصدر السابق 360/3.

⁵ ينظر المصدر السابق 132/1.

فمثلا ذكر الأبيات التي أنشد عمرو بن سالم وهو رجل من خزاعة حين قدم على رسول الله قبيل فتح مكة، ووصف فيها ما أصابهم من إساءة بني بكر عليهم.¹

وأيضاً ذكر -رحمه الله- فصلاً كاملاً للأبيات التي أنشدت في غزوة مؤتة.²

ثامناً: سلاسة الأسلوب وشرح الألفاظ الغريبة:

امتاز أسلوب الإمام ابن كثير -رحمه الله- بالسلاسة والسهولة والبعد عن التكلف والركاكة اللفظية وذكر الألفاظ الغريبة بدون محاولة شرحها وإزالة غموضها.

فمثلاً ذكر معنى التحنث عندما ذكر إتيان النبي ﷺ قبل البعثة غار حراء بالتعبد وهو تفسير بالمعنى من حيث الأصل، إلا حقيقته الدخول في الحنث، والخروج منه أو أنه بمعنى التحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.³

¹ ينظر المصدر السابق 524/4.

² ينظر المصدر السابق 501/4.

³ ينظر المصدر السابق 192/3.

النقطة الثالثة

منهج الإمام ابن كثير وأسلوبه في إيراد الروايات التفسيرية

قد اتبع الإمام ابن كثير -رحمه الله- في إيراد الروايات التفسيرية في تاريخه إلى حد كبير بنفس المنهج والأسلوب الذي اختاره واعتمد عليه في تفسيره، ولكن الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب هو التاريخ، وإن الإمام ابن كثير لا يتحدث عن كثير من المسائل التفسيرية والفقهية بالتفصيل، بل يذكر مضمونها مما دلت عليه الآيات القرآنية ويشير إليها بأننا قد ناقشنا هذه المسألة بالتفصيل في التفسير¹ وكذلك أحداث الأمم السابقة التي ذكرها في مواضع متفرقة في تفسير جمعها في مكان واحد في تاريخه وذكرها بشكل التخليص²، وفيما يلي أستخلص منهجه في إيراد الروايات التفسيرية في تاريخه بالنقاط التالية:

1. ذكر أولاً مجموعات أو مجموعة من آيات قرآنية تتعلق بالمسألة أو القصة ثم شرحها بعباراته وألفاظه موجزة وملخصاً مع الإحالة على المصادر التي استقى منها هذه المعلومات، وكثيراً ما نقل من تفسير ابن جرير، وابن أبي حاتم وتفسير ابن عطية وغيرهم ممن تقدمه، ثم إن أمكن توضيح الآيات بآية أخرى يذكرها، وأضاف ما يجده مناسباً من انتقاداته وتعليقاته.

2. سرد عقيب ذلك الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالمسألة التي ناقشها أو بالقصة، وبين ما يحتاج به وما لا يحتاج به منها، مثلاً في كلامه حول ذكر خلق آدم -عليه السلام-، بدأ أولاً بذكر الآيات التي فيها ذكر خلق آدم عليه السلام وبيان شرفه بأن الله أمر الملائكة لسجوده وعلمه الأسماء كل شيء، ثم بعد ذلك شرح الآيات موجزة مع بيان بعض المسائل التفسيرية الخلافية كخلاف المفسرين في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم عليه السلام³ وفي الجنة التي أدخل فيها آدم، هل هي في السماء أم في الأرض ثم ذكر الأحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام، ومراحل خلقه المختلفة⁴.

3. وقد أردف بالأحاديث المرفوعة بما وصله من أقوال الصحابة في تفسير الآية لأنهم أقرب الناس لنزول الوحي وقد تخرجوا من مدرسة النبوة، لذا أصبحت أقوالهم محل الاحترام والقبول في تفسير كتاب الله.

¹ ينظر البداية والنهاية 58/1.

² ينظر المصدر السابق 111/1.

³ ينظر المصدر السابق 115/1.

⁴ ينظر المصدر السابق 133/1.

4. واستأنس الإمام ابن كثير بأقوال التابعين ومن جاء بعدهم من علماء السلف، خاصة أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، مثلاً ذكر أقوال المفسرين المتقدمين في تعيين الشجرة التي نهي آدم عليه السلام من أكله، ثم علق عليه بقوله: وقد أجهم الله ذكرها وتعيينها، ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا.¹

وأشار أحياناً إلى الروايات الصحيحة والضعيفة منها بذكر تعديل الرواة وتوجيههم، على الأغلب رجح بعض الأقوال على بعض، كل هذا يدل على معرفته بفنون الحديث وأحوال الرجال.

5. وما امتاز به أسلوبه، أنه في معظم الأحيان على ما جاء في القصة من خرافات الإسرائيلية، حذر منها على وجه الإجمال تارة، على وجه البيان لبعض منها تارة أخرى، وقد ذكر في كتابه من الإسرائيليات للاستئناس بها، وبين بطلانها وفسادها إن كانت فيها من المبالغات أو الخرافات، فمثلاً عند باب ما يتعلق بخلق السماوات ذكر في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة جاءتها، سألها نفسها، أبت إلا أن يعلمها الاسم الأعظم، فعلمهاها، فقالت، فعرجت إلى السماء فمسخت كوكبا، ثم علق عليها قائلاً: فهذا من وضع الإسرائيليين ومن خرافاتهم التي لا يعول عليها.²

6. قد دخل الإمام ابن كثير -رحمه الله- أكثر في المناقشات الفقهية ومذاهب الفقهاء وخلافاتهم من حيث ذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما تكلم عن آية من آيات الأحكام، ولكنه لا يتوسع كثيراً لأن الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب هو التاريخ، وإن الإمام ابن كثير تحدث عن المسائل الفقهية بإيجاز في الغالب، وقد ناقشنا هذه المسألة بالتفصيل في تفسيره.

7. اعتمد الإمام ابن كثير رحمه الله على اللغة العربية في فهم كلام الله -تعالى- لأنه نزل باللغة العربية، استشهد أحياناً بذكر الشواهد اللغوية والشعرية التي تدل على المعنى ووضح مراده.

فمثلاً ذكر الآية ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾³ ثم شرع ببيان معنى فظن أن لن نقدر عليه، قائلاً: فظن أن لن نقدر عليه، أي أن نضيق عليه، وقيل معناه: نقدر من التقدير، هي لغة مشهورة قدر وقدر كما قال الشاعر:

فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت، ما يقدر يكن، لك الأمر⁴

8. امتاز أسلوب الإمام ابن كثير رحمه الله بالسلاسة والوضوح، والابتعاد عن التكلف والركاكة، كما أنه يذكر الألفاظ الغريبة دون أن يشرحها أو يزيل غموضها.

¹ ينظر البداية والنهاية 117/1.

² ينظر المصدر السابق 63/1.

³ الأنبياء: 87.

⁴ ينظر المصدر السابق 185/2.

الفصل الأول

الروايات التفسيرية المتعلقة بقصة كليم الله موسى مع فرعون

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الروايات التفسيرية التي وردت في نشأة موسى وحياته.

المبحث الثاني: الروايات التفسيرية التي وردت في هلاك فرعون وجنوده.

المبحث الثالث: الروايات التفسيرية التي وردت في أمر بني اسرائيل بعد هلاك فرعون.

المبحث الأول

الروايات التفسيرية التي وردت في نشأة موسى وحياته

1. ذكر منام فرعون وخوفه من ذهاب ملكه بيد طفل يولد في بني إسرائيل:

قال ابن كثير: "ذكر السدي، عن أبي صالح¹، عن ابن عباس، عن مرة، عن ابن مسعود، عن أناس من الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط وترك بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والعافة والقافة والحازة، فسألهم عن رؤياه فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه -يعنون بيت المقدس- رجل يكون على وجهه هلاك مصر".²

● التحليل والمناقشة:

أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة، ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط عن السدي.³

والطبري حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي.

ذكر الروايات المختلفة في هذا الباب والجمع بينها:

١ - عن ابن عباس، قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا وائتمروا، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلا معهم الشفائر يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه، ففعلوا، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم، وأن الصغار يذبحون، قال: توشكون أن تغتلبوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فتقل أبناءهم؛ ودعوا عاما، فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان القابل حملت بموسى.

حكم الأثر: هذا موقوف، وإسناده صحيح إلى ابن عباس، أما صحة المتن، فلا نستطيع أن نجزم بها، لعله مما كان يتحدث به الصحابة عن التاريخ القديم نقلا عن أهل الكتاب.

¹ هو أبو صالح باذام (وقيل: باذان) مولى أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها تابعي كبير: سمع علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبا هريرة، وأم هانئ.

² أوردها ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 38، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف بـ (ابن كثير) (ت ٧٧٤ هـ)، طبعة: مطبعة السعادة - القاهرة (الجزء الأول فقط، طبع مطبعة كردسان العلمية بمصر، لصاحبها فرج الله الكردي)، الطبعة: الأولى، ١٣٤٨ هـ - ١٣٥٨ هـ.

³ السند فيه السدي واسمه إسماعيل بن عبد الرحمن وهو ثقة لكن روايته عن أبي صالح منقطعة وهذا إسناد ضعيف بسبب الانقطاع. وهذه مروية تصنف ضمن أخبار بني إسرائيل التي لا نصدقها ولا نكذبها إلا إن خالفت أصلا من أصول الدين.

٢- عن ابن عباس^١، قال: قالت الكهنة لفرعون: إنه يولد في هذا العام مولود يذهب بملكك، قال: فجعل فرعون على كل ألف امرأة مائة رجل، وعلى كل مائة عشرة، وعلى كل عشرة رجلاً، فقال: انظروا كل امرأة حامل في المدينة، فإذا وضعت حملها فانظروا إليه، فإن كان ذكراً فاذبحوه، وإن كان أنثى فخلوها عنها، وذلك قوله: ﴿يُذَيِّجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^٢.

٣- عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾^٣، قال: إن فرعون ملكهم أربعمئة سنة، فقالت الكهنة: إنه سيولد العام بمصر غلام يكون هلاكك على يديه، فبعث في أهل مصر نساء قوابل فإذا ولدت امرأة غلاماً أتى به فرعون فقتله، ويستحيي الجواري.

وخلاصة القول:

أ: ما روي عن ابن عباس من أن آل فرعون قد ابلغوا بوعده الله لإبراهيم الخليل عليه السلام بأن يجعل الإمامة في العدول من ذريته مما دفعهم إلى المبادرة لذبح الذكران من المواليد لكنهم عندما شاهدوا أن الموت صار يأتي على المسنين من بني إسرائيل شيئاً فشيئاً، وأن أطفالهم يساقون إلى المذابح، وأنه بانقراض نسل بني إسرائيل ستبقى الأعمال الشاقة للبلاد من دون عمال قرّروا القيام بقتل المواليد الذكور في عام دون عام، فولد هارون في العام الذي لم يكن فيه قتل، وولد موسى في عام القتل واستنقذ من الذبح، وعلى الرغم من عدم استحالة خوف الكفار الفرعونيّين من خبر الوعد الإلهي لإبراهيم، إلا أن إثبات موضوع كهذا من خلال هذا الخبر أمر مستبعد؛ وذلك لأن إثبات الحكم الفرعي والفقهي بواسطته أمر شاق، فكيف بالأمر العلمي غير التعبدية.

ب: إن فرعون رأى في المنام كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت بيوت الأقباط، من دون إلحاق الأذى ببني إسرائيل الخ، بيد أن تحقق مثل هذا الحلم وتعبيره بما سبق ذكره من قبل كهنة مصر يحتاج إلى دليل معتبر، وليس في أيدينا في الباب غير التاريخ المرسل، فلا حديث مسند ولا تاريخ متواتر، لكن في الوقت ذاته، فإنه لم يقدّم الدليل على بطلانه.

ج: إخبار المنجمين وتعيينهم لسنة ولادة هذا المولود الذي سيدمر الأقباط في المستقبل الخ، وهذا المبحث ممكن ثبوتاً إلا أنه بحاجة إلى دليل معتبر لإثباته وهو مفقود.

^١ الأثر الثاني عن ابن عباس موقوف، إسناده إلى ابن عباس صحيح، وقد رواه الطبري بهذا الإسناد، في التاريخ أيضاً ١: ٢٢٥، وعبد الكريم بن الهيثم بن زياد القطان: ثقة مأمون، مات سنة ٢٧٨، ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٧٨ - ٧٩، وياقوت في معجم الأدباء ٤: ١٥٤، وإبراهيم بن بشار الرمادي: ثقة، يهتم في الشيء بعد الشيء، مترجم في التهذيب، وفي الكبير ١ / ١ / ٢٧٧، وابن أبي حاتم ١ / ١ / ٨٩ - ٩٠، وأبو سعيد الراوي عن عكرمة: هو عبد الكريم بن مالك الجزري، ولم أجد الأثر في مكانه من تاريخ الطبري.

^٢ البقرة: ٤٩.

^٣ نفس الآية.

وقد عد بعض المفسرين نقل ابن عباس أحسن الأقوال.

وأما الوجوه الطبيعية:

فعدم الانسجام الديني، والاختلاف الثقافي، والتسلط الاستعماري والاستعبادي لآل فرعون على بني إسرائيل، وفرض الأعمال الشاقة عليهم وبطالة، وشجرة، وجزية، وما إلى ذلك، كانت دائماً العلل السياسية والعوامل الاقتصادية الخفية التي تقف وراء خشية آل فرعون من العصيان الداخلي للمحرومين من بني إسرائيل أو وضع أيديهم في أيدي مخالفين حكومة مصر في الداخل أو محاربيها في الخارج.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن العامل الطبيعي بصرف النظر عن كونه معقولاً في نفسه هو معروف لدى بني إسرائيل، معتبرين أن القصة رؤيا فرعون وتعبير الكهنة فاقدة للسند وغير تاريخية، وبالطبع إن وجود مثل هذا العامل الطبيعي غير بعيد، وإن تأثيره في إثارة الخوف في نفوس آل فرعون أمر محتمل لكنه لن يشكل دليلاً على بطلان الوجوه المتعلقة بما وراء الطبيعة كما أن تلك الوجوه لا هو بالحوال ولا بالبعيد، وهذا على الرغم من أن إثبات بعضها أمر صعب.¹

وأما السر في صعوبة إصدار فتوى قطعية في مثل هذه المسائل فهو يرجع أولاً: إلى عدم وصول الدراسة الفنية للرجال والدراية وعلم الحديث بخصوص الأحاديث الماثورة إلى نصابها اللازم ولا يتوفر الوثوق الكافي من الجهة التاريخية بسلسلة رجال التاريخ، وثانياً: عدم جريان البرهان العقلي في مجال المسائل الجزئية، وثالثاً: عدم تصريح الآيات القرآنية الكريمة بشيء في هذا الصدد من أجل ذلك فإن الجزم برأي معين واحد من الآراء المطروحة في المسألة أمر صعب.

● ما يستفاد من المروية:

1. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا﴾² أن بني إسرائيل هم من أهل مصر، مع أنهم في الأصل من أهل الشام، فيتفرع على هذه الفائدة: أن من سكن أرضاً وأقام فيها - وإن لم يكن من أهلها في الأصل - نسب إليها، وصار من أهلها.

2. في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾³ أن تفريق الأمة سبب لفشلها وذلها، وفرعون هو أول من جعل أهل الأرض شيعاً؛ حتى يسود عليهم.

¹ راجع تفسير المنار، ج 1، ص 312 - 313 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م

² القصص: 4.

³ نفس الآية.

3. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾¹ دلالة على أن الأفعال قد تكون قبيحة مذمومة قبل مجيء الرسول إلى الناس، فقد أخبر سبحانه عن فرعون أنه ظالم وطاغ ومفسد هو وقومه - وهذه أسماء ذم الأفعال-؛ والذم إنما يكون في الأفعال السيئة القبيحة؛ إلا أنهم لا يستحقون العذاب إلا بعد مجيء الرسول إليهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾².

4. خوف الطغاة من زوال ملكهم يجعلهم يتبعون كل ما يهدد عروشهم.

5. إن الله يسخر الأسباب لحماية أوليائه.

6. ضعف الإنسان أمام الغيب رغم جبروته.

2. ذكر حال أم موسى بعد أن وضعت في الصندوق:

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاءً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾³.

قال ابن كثير: قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة⁴ في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاءً﴾⁵، أي: من كل شيء من أمور الدين إلا من موسى.⁶

● التحليل والمناقشة:

¹ نفس الآية.

² الإسراء: 15.

³ القصص: 10.

⁴ معمر بن المثنى (ت 210هـ)، من الأئمة المبرزين في اللغة والتفسير، وله مصنفات في بيان معاني القرآن وغريبه، وكتابه (مجاز القرآن) شاهد على إمامته وتضلعه في اللغة، وما زالت له أقوال في غريب القرآن ماثلة في كتب تلاميذه ومن نقلوا عنهم.

⁵ الخالي يقال: إناؤه فارغ، وقول فارغ، وقلب فارغ، وفي التنزيل العزيز: وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا: خالياً من الصبر والعقل، (المعجم الوسيط، ج2، ص684).

⁶ أورده ابن كثير في البداية والنهاية، ج 1 ص 300. والرواة كلهم ثقات والرواية عنهم في التفسير شائعة، ويقبل تفسيرهم عند جمهور المفسرين، وهو من قول الصحابي يقبل في شرح الآية، ولعل ابن عباس سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول بهذا، أو اجتهد في تفسير الرأي. فهو من قبيل التفسير بالرأي المحمود.

أخرجها الطبري حدثني محمد بن العلاء، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا الأعمش، عن مجاهد، وحسان أبي الأشرس عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ قال: فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى.¹

وقد ذكر الطبري عدة أسانيد لهذه الرواية ليؤكد أن هذا القول هو الراجح سنداً وليرد الأقوال الأخرى التي قيلت في معنى الآية والأسانيد، أذكر بعضها كالتالي:

١. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن حسان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ قال: فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى.

٢. حدثنا محمد بن عمار، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن رجل، عن ابن عباس ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ قال: فارغا من كل شيء إلا من هم موسى.

٣. حدثنا علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ قال: يقول: لا تذكروا إلا موسى.

٤. حدثنا محمد بن عمار، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ قال: من كل شيء غير ذكر موسى.

واختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم: عني أن فؤادها أصبح فارغا من الوحي الذي كان الله أوحاه إليها، إذ أمرها أن تلقيه في اليم فقال ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾² وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ قال: فحزنت ونسيت عهد الله إليها، فقال الله عز وجل: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ من وحيها الذي أوحيناه إليها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد³، في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ قال: فارغا من الوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر، ولا تخاف ولا تحزن، قال: فجاءها الشيطان، فقال: يا أم موسى، كرهت أن يقتل فرعون موسى، فيكون لك أجره وثوابه، وتوليت قتله، فألقيتيه في البحر وغرقته، فقال الله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ من الوحي الذي أوحاه إليها.

¹ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠ الطبعة: بدون تاريخ نشر.

² القصص: ٧.

³ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وهو من علماء التابعين، واشتهر بتفسيره للقرآن الكريم، واشتهر بتقديمه لتفسير القرآن بالقرآن. اشتهر عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بتفسيره للقرآن بالقرآن، أي أنه كان يعتمد على آيات أخرى من القرآن لتفسير آية ما، وله روايات كثيرة في التفسير، وقد أورد له الطبري ما يقارب 1800 رواية في تفسيره، وخاصة في الجانب اللغوي منه.

وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب: معنى ذلك: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ من الحزن، لعلمها بأنه لم يغرق، قال: وهو من قولهم: دم فرغ أي لا قود ولا دية؛ وهذا قول لا معنى له؛ لخلافه قول جميع أهل التأويل. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: معناه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ من كل شيء، إلا من هم موسى.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب؛ لدلالة قوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ ولو كان عني بذلك: فراغ قلبها من الوحي، لم يعقب بقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ لأنها إن كانت قاربت أن تبدي الوحي، فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه، وولوعها به، ومحال أن تكون به ولعة إلا وهي ذاكرة. وإذا كان ذلك كذلك، بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى إليها، وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب، ولم يخص فراغ قلبها من شيء دون شيء، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه، وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ من الفرع.

● ما يستفاد من المروية:

1. في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فُرْعَاً﴾ دليل على أن ما تقتضيه الطبيعة البشرية لا يؤاخذ به المرء، ووجه ذلك: أن فؤاد أم موسى كان ينبغي ألا يكون فارغا من ذكر الله عز وجل ومن الدار الآخرة! لكنه أصبح فارغا، ليس فيه شيء أبدا لذكره سوى ذكر موسى، وهذا مقتضى الطبيعة البشرية؛ لأن الأمور العظيمة التي تنزل بالمرء تنسيه كل شيء.¹
2. أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين: الصبر عند المزعجات، والتثبيت من الله عند المقلقات، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليزداد إيمانها بذلك، ويطمئن قلبها.²
3. قوة عاطفة الأموية رغم يقينها بوعد الله إلا أن فؤادها كان سيضعف وينكشف لولا تثبيت الله لها.
4. الابتلاء قد يقع حتى على خيار الناس، فأم نبي من أولي العزم تمر بابتلاء شديد.

¹ ينظر: تفسير ابن عثيمين - محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) سورة القصص (ص: 48). الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

² ينظر: تفسير السعدي لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص: 618) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

5. الموازنة بين المشاعر والطاعة، أم موسى عاشت مشاعر الأمومة والخوف ومع ذلك أطاعت أمر الله رغم صعوبته.

3. بيان معنى (بصرت به عن جنب):

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾¹.
قال ابن كثير: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾² قال مجاهد عن بعد، وقال قتادة جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده ولهذا قال ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾³.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان معنى (عن جنب) وذكر قولين مختلفين أحدهما عن مجاهد وهو أن الجنب بمعنى البعد، ثانيهما أنها تنظر إلى أخيها من غير أن يشعر بها أحد، رأي ابن كثير ترجيح القول الثاني بدليل قوله تعالى: وهم لا يشعرون، هذا ما يسمى بترجيح أحد الأقوال نظرا إلى السياق.

قد أخبر الله تعالى مفصلا الحديث عن موسى -عليه السلام-: وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعي موسى، فإذا خفت عليه من فرعون وجنده فضعيه في تابوت وألقيه في نهر النيل، ولا تخافي على موسى من الغرق، ولا تحزني على فراقه؛ إنا رادوه إليك، وجاعلوه من رسل الله.

فأخذ آل فرعون موسى؛ ليكون عدوا لهم وحزنا بزوال ملكهم على يديه، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا عصاة آثمين.

وقالت امرأة فرعون: هذا الطفل سرور لي ولك يا فرعون، لا تقتلوه؛ لعله ينفعنا أو نجعله لنا ولدا، وهم لا يعلمون أن هلاكهم سيكون على يدي هذا الطفل!

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شيء إلا من أمر موسى! وقد قاربت أن تظهر للناس ما تكتمه في قلبها من شأن موسى، لولا أن ثبتنا قلبها لتكون من المؤمنين بوعده الله.

ثم بين الله تعالى ما فعلته أم موسى بعد ذلك، فيقول: وقالت لأخت موسى: اذهبي فمتبعي أثر موسى؛ لتعلمي خبره. فذهبت أخته فرأته من بعيد، وهم لا يعلمون أنها أخت موسى، وأنها تراقبه.

● الفوائد المستنبطة من المروية:

¹ سورة القصص: 11.

² الجنب من كل شيء شئ، مُعَادِلُهُ. || ناحيته. (المعجم الوسيط، ص 138).

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 240.

١- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أن العبد -ولو عرف أن القضاء والقدر ووعده الله نافذ لا بد منه- فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافيا لإيمانه بخبر الله؛ فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك اجتهدت على رده، وأرسلت أختها لتقصه وتطلبه.¹

٢. في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾² جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال من غير محذور، كما جرى لأخت موسى هنا، وابنتي صاحب مدين، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾³.

٣. القرآن يعلم فنون التخفي المشروع، فالتصرف هنا فيه توكل على الله دون تهور، وفيه حرص على سلامة النبي الطفل مما يدل على أهمية الحذر في أوقات الخطر.

٤. المؤمن يحسن التصرف حتى في أحلك الظروف، أخت موسى لم تكن تنتظر مصيرا مجهولا، بل كانت تعمل ضمن خطة إلهية بتصرف حكيم.

٥. دقة التعبير القرآني، لفظ عن جب يير إلى أنها كانت تراقبه من بعيد بحذر واحتياط، دون أن تقترب.

4. سؤال آل فرعون أخت موسى كيف عرفت نصح أهل بيت لموسى عليه السلام:

قال الله تعالى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾⁵.

قال ابن كثير: قال ابن عباس لما قالت ذلك قالوا لها ما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه فقالت رغبة في صهر⁶ الملك ورجاء منفعة.⁷

● التحليل والمناقشة:

¹ ينظر: تفسير السعدي (ص: 618).

² القصص: 12.

³ القصص: 23.

⁴ ينظر: تفسير السعدي (ص: 619).

⁵ القصص: 12.

⁶ صهر جمعه أشهر وهو زوج ابنة الرجل | | زوج الأخت | | قرابة بالزواج (فارسية) (المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ص858) .

⁷ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 240. لعل هذه الرواية سمعها ابن عباس رضي الله عنهما من أحد من اطلع على كتب أهل الكتاب.

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لإزالة إشكال قد يقع على قول أخت موسى -عليه السلام- وهو أنها كيف عرفت نصحهم، أجابت على ذلك.

وفي هذه الآية أن الله تعالى منع موسى عليه السلام من قبول ثدي أي مرضعة من قبل أن يعود إلى أمه، وكان هذا التحريم قدرياً، أي من تدبير الله وحكمته، لحفظ موسى ورعايته، وجعله سبباً لعودته إلى أمه. وقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾: "حَرَّمْنَا" تعني منعنا، و"الْمَرَاضِعَ" جمع "مرضعة" وهي المرأة التي تتولى إرضاع الطفل.

وكان سبب التحريم أن الله تعالى يمنع موسى من الرضاعة من أي امرأة غير أمه، ليحفظه ويرعاه ويسر عودته إلى أمه و هذا المنع لم يكن بسبب مرض أو عيب في موسى، بل هو من تدبير الله تعالى وقدرته. والهدف أن الله جعل هذا التحريم وسيلة لرجوع موسى إلى أمه، حيث أن رفضه للمراضع أثار اهتمام أهل فرعون به ورغبتهم في إيجاد من ترضعه.

وهذه الآية تبين كيف أن الله تعالى حفظ موسى ومنعه من قبول ثدي أي امرأة، ليكون ذلك سبباً لعودته إلى أمه ورعايته في كنفها.

وفي هذه المروية ذكر ابن عباس -رضي الله عنهما- أن أخت موسى -عليه السلام- أزالته شكهم، فقالت: إن أهل البيت ناصحون لهذا الطفل لأجل أنهم يريدون التقرب بهذا الأمر إلى عائلة فرعون.

● الفوائد المستنبطة من الآية والمروية:

1. فيها أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد تكوين شيء هياً له جميع أسبابه.
2. فيها أن الكفيل يجب أن يكون ناصحاً لمكفوله ولا فائدة للكفالة بلا نصح.
3. فيها أن النصح قد يصدر من الناس رجاء أن ينفعه المنصوح له.

5. بيان معنى ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي﴾:

قال الله تعالى: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَيْمِ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾¹.

قال ابن كثير: قال قتادة¹ وغير واحد من السلف أي تطعم وترفه² وتغذى بأطيب المأكول وتلبس أحسن الملابس بمراى³ منى⁴.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان معنى ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ وأن المراد به تمتعه بأكله وتغذيته بأطيب الأطعمة ولبسه أحسن الملابس والله يرى كل ذلك.

ويقرب من ها قول ابن زيد حيث قال: معناه جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذائه عندهم غذاء الملك، تلك الصنعة⁵.

وبهذا القول قال عبد الرزاق⁶: وهو غذاءه، لتغذى على عيني⁷.

وورد عن ابن جريج⁸ أن معناه أنت بعيني إذ جعلتك أمك في التابوت، ثم في البحر⁹.

والقول الثالث ورد عن أبي نعيم¹⁰ حيث صرح بأن المراد بالصنع هنا عمل، أي ولتعمل على عيني¹¹.

فالخلاصة أن في معنى الآية ثلاثة أقوال وهذا اختلاف التنوع، يمكن حمل الآية على كل تلك المعاني لأن كتاب الله حمال الوجوه.

ولنبداً الآن في شرح الآية:

¹ قتادة بن دعامة (61 هـ - 118 هـ ، 680 - 736 م). قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب. تابعي وعالم في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، محدث، مفسر، حافظ، علامة. كان ضريفاً أكهم. وكان يقول: «ماقلت لمحدث قط أعد عليّ، وما سمعت أذناي قط شيئاً إلا وعاه قلبي». قال أحمد بن حنبل: «كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيء إلا حفظه؛ قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها».

² استراح و تنعم (المنجد فى اللغة ، ص273).

³ المنظر (هُوَ مَيِّ مَزَائٍ و مَسْمَعٌ بالرفع على الخبرية و يُنصَب على الظرفية و «بِمَزَائٍ و مَسْمَعٌ» أي: بحيث أراه و اسمعه. (أقرب الموارد، ج2، ص334)

⁴ أورد ابن كثير في البداية والنهاية ج1 ص 241، وأورده الطبري في تفسيره أقوالاً بمعنى المعنى مسنداً إياها إلى قائلها.

⁵ تفسير الطبري لابن جرير الطبري ج ١٨ ص ٣٠٤.

⁶ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (126 - 211 هـ) (744 - 827 م) من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. الملقب بـ محدث اليمن، له تفسير للقرآن، باسم «تفسير القرآن للصنعاني»، وله كتاب في السنة باسم «الأمالى» مخطوط.

⁷ المصدر السابق .

⁸ ابن جريج في التفسير هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، محدث وعالم بالتفسير من أهل مكة، اشتهر بتصنيفه في تفسير القرآن ويعتبر من أوائل من صنفوا في هذا المجال على وجه الاستقلال، يكنى أبا الوليد وأبا خالد، ولد في مكة عام 80 هـ وتوفي فيها عام 150 هـ.

⁹ المصدر السابق. حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ..

¹⁰ علباء بن أحمد أبو نعيم الشافعي الخراساني، وهو راوٍ ورد ذكره في كتب التفسير وعلوم القرآن. وهو معروف ببعض الشواذ في القراءات التي تنسب إليه.

¹¹ المصدر السابق، حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح قال : ثنا عبد المؤمن قال : سمعت أبا نعيم..

أي: فأوحينا إليها أن ألقِ ابْنَك موسى في الصُّندوق.¹
 فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ، أي: فاطرحيه وهو في الصُّندوق في نهر النيل.²
 فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ، أي: فلْيُلْقِ نَهْرُ النَّيْلِ موسى وهو في داخلِ الصُّندوق بالشَّاطئ.³
 يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، أي: وحينئذٍ يأخذُ موسى فِرْعَوْنُ الذي هو عدُوٌّ لي وعدُوٌّ لموسى.⁴
 كما قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾.⁵
 وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي، أي: أَحْبَبْتُكَ وجعلْتُكَ محبوبًا لكلِّ من يراك، ووضعتُ لك القَبُولَ بَيْنَ النَّاسِ.⁶
 وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي، أي: ولتُعَدَّى وَثَرِيٌّ في قصر فِرْعَوْنَ على ما أُريدُ بمَرَأَى مِنِّي، وتحت حِفْظِي ورعايتي.⁷
 - وفي قوله: وألقيت عليك محبة مني نكر المحبة وأسندها إليه سبحانه؛ لأمرين؛ الأول: ما في التنكير من الفخامة الذاتية، كأنها محبة تعلق على الحب المتعارف المتبادل بين المخلوقات، والثاني: ما في إسنادها إليه من الفخامة الإضافية، أي: محبة عظيمة مني، وقد زرعناها في القلوب، وركزناها في السرائر ومنطويات الضمائر؛ فسبحان المتكلم بهذا الكلام!⁸
 وخلاصة المروية أن الله تولى تربية موسى عليه السلام بنفسه بحفظه وتغذيته ورعايتها الخاصة وهي تشمل الحماية الجسدية من القتل في صغره والرعاية النفسية والإعداد الإلهي للنبوة.

● ما يستفاد من المروية:

- ¹ يُنظر: تفسير ابن جرير (56/16، 57)، محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (125/7).
- ² يُنظر: تفسير ابن جرير (57/16)، الوجيز للواحد (ص: 694)، تفسير القرطبي (195/11)،
- ³ يُنظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (15/6)
- ⁴ يُنظر: تفسير ابن جرير (57/16)، الوجيز للواحد (ص: 694)
- ⁵ القصص: 8.
- ⁶ يُنظر: تفسير ابن جرير (58/16)، التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحد (ت ٤٦٨ هـ) أصل تحقيقه: (١٥) رسالة دكتورة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ (398، 397/14)، الوجيز للواحد (ص: 694).
- ⁷ ينظر: تفسير ابن كثير (284/5)، تفسير السعدي (ص: 504).
- ⁸ ينظر: تفسير أبي السعود (15/6)، إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ) الناشر: دار الإرشاد للشعون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ (194-193/6).

1. فيها أن الله سبحانه وتعالى يراعي عباده الصالحين ويربيهم تربية حسنة فإذا أحب الله عبدا صار في رعايته يصونه من كل ما يسخطه ويسر له كل ما يرضيه تعالى.
2. فيها أن الله إذا كاد للعبد لم يكن لأحد أن يصيبه بضرر.
3. فيها أن على المؤمن أن يكون حذرا يأخذ بالأسباب.
4. فيها أن العناية الإلهية الخاصة تسبق المهام العظيمة.
5. القيادة تحتاج إلى إعداد متكامل جسدي نفسي روحي.
6. إن الله يهيئ أنبياءه منذ الطفولة ليكونوا على قدر الرسالة.

6. قتل موسى عليه السلام المصري خطأ:

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۖ﴾¹.

قال ابن كثير: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ² وَعِكْرِمَةُ³ وَقَتَادَةُ وَالسَّيِّدِيُّ⁴ وَذَلِكَ نِصْفُ النَّهَارِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَيَّنَّ الْعِشَاءَيْنِ⁵.

● التحليل والمناقشة:

¹ القصص: 15.

² سعيد بن جبیر الأسدي (46-95 هـ)، هو تابعي، من أهل العراق، كان تقياً وعالمًا بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين في المدينة المنورة، سكن الكوفة ونشر العلم فيها وكان من علماء التابعين، فأصبح إماماً ومعلماً لأهلها، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على بني أمية.

³ هو عكرمة أبو عبد الله القرشي الهاشمي مولاهم، المدني، أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لعبد الله بن عباس حين جاء والياً على البصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد احتج به البخاري في صحيحه، وأصحاب السنن، أما مسلم فلم يخرج له سوى حديث واحد في الحج مقروناً بسعيد بن جبیر.

⁴ أورده الطبري في تفسيره قال حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي، ج ١٩ ص ٥٣٧.

⁵ المغرب و العتمة. (جنى الجنتين , ص 79).

⁶ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 241. والطبري في تفسيره ص 387 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ودخل المدينة على حين غفلة﴾ قال : نصف النهار . قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : يقولون في القائلة ، قال : وبين المغرب والعشاء .

وهذا السند متصل صحيح ورواته كلهم ثقات، ولا يوجد فيهم ضعف، وهو حديث ثبت موقوفاً ومقطوعاً فهو من اجتهاد الصحابة في تفسير القرآن استعانة باللغة العربية.

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه الرواية في قصة موسى -عليه السلام- لأنها تفسر معنى كلمة غريبة وقعت في سياق قصة دخوله -عليه السلام- المدينة وهي كلمة ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ لأنها كلمة مبهمة تحتل عدة معان فأوضح ابن عباس -رضي الله عنهما- أن المراد به نصف النهار وهو وقت القيلولة.

وذهب كثير من المفسرين إلى قول ابن عباس حيث قال به قتادة¹ -رحمه الله- والسدي².

وذهب ابن زيد إلى قول يختلف عن القول السابق وهو أن المراد به نسيانهم خبر موسى -عليه السلام- الوقت المعين.³

والمعنى الإجمالي لهذه الآية: أن موسى -عليه السلام- دخل مرة المدينة فوجد في تلك المدينة رجلين يتضاربان ويتنازعان، أحدهما إسرائيلي من حزبه وجماعته، والآخر قبطي مصري مخالف لموسى في العقيدة والدين، وهو طباح فرعون، كان قد طلب منه أن يحمل حطباً للمطبخ فأبى، فطلب الإسرائيلي من موسى النجدة والعون على عدوه القبطي، فضربه موسى بيده، فقضى عليه، أي كان الضرب مفضياً إلى الموت، وواراه التراب، دون أن يعلم بذلك أحد إلا الرجل العبراني الذي نصره موسى.

ثم ندم موسى على ما فعل، فقال: هذا الحادث من تزيين الشيطان وإغرائه.

وقوله تعالى: ﴿ودخل المدينة﴾ يعني: دخل موسى المدينة، اختلفت أقوال المفسرين في تحديد هذه المدينة فقال السدي: هي مدينة "منف" من أرض مصر.

وقال مقاتل: كانت قرية "حابين" على رأس فرسخين من مصر.

وقيل: مدينة "عين الشمس"، ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة⁴.

ورود عن محمد بن كعب القرظي قول يعارض قول ابن عباس حيث قال: دخلها فيما بين المغرب والعشاء.

وروي عن علي في قوله: ﴿حين غفلة﴾ كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم.

واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت.

¹ أورده الطبري في تفسيره حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ج ١٩ ص ٥٣٩.

² السدي في التفسير يشير إلى إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، المعروف بالسدي الكبير، وهو مفسر ومحدث من التابعين. تفسيره للقرآن الكريم مهم ويستند في الغالب إلى أقوال الصحابة عبد الله بن مسعود وابن عباس، واشتهر السدي بنقله للإسرائيليات في تفسيره، بل تجاوز بعض الإخباريين في ذلك.

³ المصدر السابق، حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد.

⁴ تفسير البغوي: مضمون الآية 15 من سورة القصص.

قال السدي: وذلك أن موسى - عليه السلام - كان يسمى: ابن فرعون، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه، فركب فرعون يوما وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه المقيبل بأرض " منف " فدخلها نصف النهار، وليس في طرفها أحد، فذلك قوله - عز وجل -: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قال ابن إسحاق: كان لموسى شيعه من بني إسرائيل يستمعون منه ويقتدون به، فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه، فخالفهم في دينه حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفا مستخفيا، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها.¹

وقال ابن زيد: لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره، فأراد فرعون قتله، قالت امرأته: هو صغير، فترك قتله وأمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل عليهم إلا بعد أن كبر وبلغ أشده فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها يعني: عن ذكر موسى، أي: من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعد عهدهم به.²

● ما يستفاد من الآية التي لأجلها سيقت الرواية:

1. دلت آية على أنه لا يجوز معاونة الظلمة والفسقة، قال عطاء: فلا يحل لأحد أن يعين ظلما، ولا يكتب له، ولا يصحبه، وأنه إن فعل شيئا من ذلك فقد صار معينا للظالمين.
2. دلت الآية على وجوب الحذر من العدو وتحري الأوقات التي هو فيها غافل.
3. فيها أن كل ما يصدر من الإنسان مما نهى الله عنه فهو من عمل الشيطان، عليه أن يبادر إلى الله بالتوبة.
4. حكمة التوقيت فدخل موسى في وقت الغفلة يظهر أنه لم يكن يقصد إثارة فتنة أو عدوان.
5. التفسير اللغوي فهم كلمة (غفلة) يساعد في ربط السياق الزمني والاجتماعي بالحدث.
6. اعتراف موسى بخطئه يظهر توبته وإنابته وهو خلق الأنبياء.

7. نوع الآلة التي ضرب بها موسى عليه السلام القبطي:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾³.

¹ تفسير الطبري للإمام أبي جعفر الطبري، ص 387.

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 240.

³ القصص: 15.

قال ابن كثير: قال مجاهد: أي طعنه بجمع¹ كفه²، وقال قتادة: بعصا كانت معه.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لتحديد نوع الآلة التي ضرب بها موسى -عليه السلام- القبطي وذكر قول مجاهد وفتادة وكلا القولين يخالف الآخر فهو من اختلاف التضاد لا التنوع، أن مجاهداً قال ضربه بجمع كفه، فتادة قال بعصا كانت عنده، لم يرجح بينهما، بهذا يظهر لنا أن ابن كثير قد يذكر الاختلاف بغير ترجيح منه لأحد الأقوال.

ومعنى الآية أنه دخل موسى مدينة في مصر في وقت لا يشعر فيه أهلها بدخوله.⁴

فوجد موسى في المدينة رجلين يتضاربان ويتنازعان؛ أحدهما من بني إسرائيل، والآخر قبطي من قوم فرعون.⁵

فطلب الرجل الإسرائيلي من موسى أن يعينه وينصره على خصمه الرجل القبطي.⁶

فضرب موسى القبطي بجمع كفه (بقبضة يده).⁷

فقتله بتلك الضربة.⁸

فقال هذا القتل قد وقع بسبب إغواء الشيطان لي، وتزيينه ووسوسته.⁹

إن الشيطان عدو يسعى في إضلال بني آدم عن الحق، ظاهر العداوة والإضلال لهم.¹⁰

¹ جَمَعَ كَفَّهُ قَبْضُهَا وَجَعَلَهَا جُمُعًا (المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ص216) .

² أورده الطبري في تفسيره قال حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. ج ١٨ ص ١٨٣.

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 241.

⁴ ينظر: تفسير ابن جرير (183/18)، تفسير البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (173/4)، تفسير السعدي (ص: 613)، تفسير ابن عثيمين - سورة القصص (ص: 69-71).

⁵ ينظر: تفسير ابن جرير (186/18)، تفسير ابن كثير (225/6)، نظم الدرر للبقاعي (255/14)، تفسير السعدي (ص: 613)، تفسير ابن عثيمين - سورة القصص (ص: 73).

⁶ ينظر: تفسير ابن جرير (186/18)، تفسير القرطبي (260/13)، تفسير الشوكاني (188/4). قال السعدي: (استغاثته لموسى دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغاً يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان). تفسير السعدي (ص: 613).

⁷ ينظر: تفسير ابن جرير (186/18)، الوجيز للواحيدي (ص: 814)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م (263/10).

⁸ ينظر: تفسير ابن جرير (190/18)، تفسير ابن كثير (225/6)، تفسير السعدي (ص: 613).

⁹ ينظر: تفسير ابن جرير (190/18)، تفسير القرطبي (261/13)، تفسير السعدي (ص: 613).

¹⁰ ينظر: تفسير ابن جرير (190/18)، تفسير الشوكاني (189/4)، تفسير السعدي (ص: 613).

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((... فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى...)).¹

● ما يستفاد من المروية:

1. فيها أن الأنبياء كانوا يسارعون في مساعدة الناس بكل ما آتاهم الله من القوة.
2. فيها أن الشيطان للإنسان عدو مبين، أنه يصدر الخطأ حتى من الأنبياء ثم ينبههم الله على ذلك فيستغفرون.
3. فيها أن السبب في صدور كثير من الأخطاء والذنوب من بني آدم بسبب إغواء الشيطان ووسواسه.

8. قوة موسى عليه السلام:

قال تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.²

قال ابن كثير: قال أمير المؤمنين عمر³ وكان لا يرفعه إلا عشرة وإنما استقى⁴ ذنوبا واحدا فكفاهما.⁵

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لذكر قوة موسى -عليه السلام- حيث قدر على حمل ما لا يستطيع حمله إلا عشرة ثم إن الماء الذي حمله كفى البنتين جميعا.

¹ صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة النبيين في المنام (4712) واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (194).

² القصص: 23.

³ أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، الملقب بالفاروق، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهّادهم. تولّى الخلافة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديق في 23 أغسطس سنة 634م، الموافق للثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة 13 هـ، وكان ابن الخطّاب قاضيًا خبيرًا وقد اشتهر بعدله وانصافه الناس من المظالم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحق والباطل.

⁴ الأخذ من البئر (المحيط في اللغة ، ج 5 ، ص 471).

⁵ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 243. وابن أبي شيبة في المصنف ج 11 ص 530 مطولا، وذكره السيوطي في الدرر ج 5 ص 124 وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم وغيرهما.

ومعنى الآية أنه لما بلغ موسى ماء مدين وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم.¹ ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين تحبسان غنمهما عن الناس.² قال موسى للمرأتين: ما شأنكما تكفان غنمكما، ولا تسقيان مع الناس؟!³ قالتا لموسى: عادتنا أننا لا نسقي أغنامنا إلا بعد أن يصرف الرعاة مواشيهم.⁴ وأبونا كبير في السن، يضعف عن سقي الغنم بنفسه.⁵

وفي هذه المروية ذكر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن الحجر الذي سقى منه موسى عليه السلام كانت ترفعه جماعة من الرجال بينما رفعه موسى عليه السلام وحده وهذا يدل على قوة خارقة فقد كان لا يرفعه إلا عشرة رجال.

● ما يستفاد من المروية:

1. قال الله تعالى: ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل في القصبة ترغيب في الخير، وحث على المعاونة على البر، وبعث على بذل المعروف مع الجهد.⁶
2. أنه لا ينبغي أن يحكم على الأمور إلا بعد معرفة الأسباب؛ فإن موسى لم يحكم على المرأتين بأي حكم إلا بعد أن سألهما، قال: ما خطبكما، يعني: لماذا تذودان غنمكما عن السقي؟⁷
3. الرجل الحقيقي يبادر بالخير دون مصلحة فهو سقى لهما دون انتظار جزاء منهما.
4. قوة الجسد لا تكتمل إلا بقوة الخلق وهذا ما اجتمع في موسى عليه السلام.

¹ ينظر: تفسير ابن جرير (206/18)، تفسير السمرقندي بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) (603/2)، تفسير القرطبي (267/13)، 268.

² ينظر: تفسير ابن جرير (207/18، 210)، تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ (283/4)، تفسير القرطبي (268/13).

³ ينظر: تفسير ابن جرير (210/18)، تفسير ابن كثير (226/6)، تفسير السعدي (ص: 614).

⁴ ينظر: تفسير ابن جرير (211/18)، تفسير الماوردي (246/4)، تفسير ابن كثير (226/6)، تفسير الألوسي (269/10)، ((تفسير السعدي)) (ص: 614).

⁵ ينظر: تفسير ابن جرير (212/18)، معاني القرآن للزجاج (139/4)، البسيط للواحدي (371/17)، تفسير البيضاوي (175/4).

⁶ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م) الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند الطبعة: الأولى، (١٣٨٩ - ١٤٠٤ هـ) (١٩٦٩ - ١٩٨٤ م) (267/14).

⁷ ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة القصص (ص: 91).

9. هيئة الشجرة التي دعا تحت ظلها عليه السلام:

قال الله تعالى ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾¹.
قال ابن كثير رحمه الله: روى ابن جرير عن ابن مسعود² أنه رآها خضراء ترف³ قال ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁴.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية يبين هيئة الشجرة التي ذهب تحت ظلها ليدعو الله حاجته. وقوله تعالى ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ وَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فهم عليه السلام من كلامهما أن تأخرهما في السقي نوع تعفف وتحجب منهما وتعد من الناس عليهما فبادر إلى ذلك وسقى لهما. وقوله ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ وَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي انصرف إلى الظل ليستريح فيه والحر شديد وقال ما قال، وقد حمل الأكثرون قوله ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ﴾ الخ على سؤال طعام يسدُّ به الجوع، وعليه فالأولى أن يكون المراد بقوله ﴿لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ القوة البدنية التي كان يعمل بها الأعمال الصالحة التي فيها رضى الله كالدفاع عن الإسرائيليين والحرب من فرعون بقصد مدين وسقي غنم شعيب واللام في ﴿لِمَا أَنزَلْ﴾ بمعنى إلى وإظهار الفقر إلى هذه القوة التي أنزلها الله إليه من عنده بالإفاضة كناية عن إظهار الفقر إلى شيء من الطعام تستبقى به هذه القوة النازلة الموهوبة.

وفي هذه المروية وصف ابن مسعود رضي الله عنه الشجرة حيث رآها موسى عليه السلام خضراء فاتجه إلى ظلها فيها راحة وطمأنينة فجلس تحتها ودعا الله.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

¹ القصص: 24.

² أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الصاهلي الهذلي (المتوفى سنة 32 هـ / 653 م) فقيه الأمة وصحابي جليل ووزير ومقرئ ومحدث من المكثرين في الحديث النبوي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام وهو سادس من أسلم وأحد المبشرين بالجنة، وصاحب نعلي النبي محمد وسواكه، وواحد ممن هاجروا الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، ومن أدركوا القبلتين، وهو أول من جهر بقراءة القرآن في مكة وشهد جميع المشاهد مع النبي محمد، وهو الذي قتل أبو جهل وقطع رأسه في معركة بدر وقدمه إلى النبي محمد. وقد تولى قضاء وزارة الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان.

³ سَعَى بِمَا عَزَّ وَ هَانَ مِنْ خِدْمَةٍ، عن ابن عَبَّادٍ (تاج العروس ، ج12 ، ص236).

⁴ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج1 ص243، وأورده في تفسيره قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام، سمره خضراء ترف، إسناداه مقارب ص ٣٨٩. وهذه الرواية مرسله فهي لا تصحح من جهة الاتصال لأن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله بن مسعود، ولكنها مقبولة للاستئناس في التفسير لا في العقائد والأحكام.

1. فيها بيان عناية الصحابة بالآثار المتقدمة.
2. من أسباب استجابة الدعاء القيام بأعمال الخير ثم الالتجاء إلى الله عزوجل.
3. من عادة الأنبياء التعميم في طلب الشيء الذي يريدون فلم يقل عليه السلام ربي إني أطلب منك شيئاً بعينه، أن ذلك الشيء قد يكون ضرراً لك وهو شر لك والخير كل الخير هو ما يختاره الله لك.
4. وهذا الموقف يظهر قوة موسى عليه السلام الإيمانية بعد أن ظهر بدنه في موقف القوة الجسدية.
5. الاعتراف بالافتقار إلى الله من أعظم أسباب الرزق.

10. بيان حال سفره عليه السلام إلى مدين:

قال الله تعالى: ﴿فَسَمِعِيَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾¹.

قال ابن كثير رحمه الله: قال ابن عباس سار من مصر الى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر وكان حافياً² فسقطت نعلاه قدميه من الحفاء وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وان بطنه لاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وإنه محتاج الى شق تمره.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية ليتضح حال موسى -عليه السلام- كيف سافر من مصر إلى مدين وكان بحاجة شديدة إلى ما يطعم ويشرب، فانتهى به السفر إلى ظل الشجرة بعدما قام بخدمة الناس ثم دعا الله -عزوجل- حاجته، فاستجاب له.

وفي هذه المروية يتحدث ابن عباس رضي الله عنهما أن موسى عليه السلام سافر من مصر إلى مدين مشياً ولم يأكل في رحلته إلا ورق الشجر حتى سقط نعله من شدة التعب واحتمى بظل شجرة، وبلغ به الجوع أنه نظر إلى بطنه فوجده قد لاصق ظهره أي من شدة التحول، ومع ذلك توجه إلى الله بالدعاء دون تدمير.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

¹ القصص: 24.

² يمشي بلا حذاء أو نحوه (معجم الأفعال المتداولة وعجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها لمحمد الحيدري [شيعي] الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية المطبعة: توحيد الطبعة: 1 تاريخ النشر: 1423 هـ، ص 153).

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 243، تفسير الطبري للإمام الطبري حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا حكيم بن سلم، عن عنبسة، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس ج 20 ص 59 أخرجه المصنف في تاريخه 1/ 397، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره 9/ 2961 من طريق حكام بن سلم به، الدر المنثور للإمام السيوطي ج 5 ص 125.

وهذا سند ضعيف لأجل حكام بن سلم وليس بكذاب بل يكتب حديثه في الشواهد ولكن الرواية مقبولة لأنها من قبيل التفسير.

1. في الرواية أسباب استجابة الدعاء وهو كون الداعي في حال السفر، شعث أغبر لم يأكل الحرام، هو مقرب إلى الله بالأعمال الصالحة يقدم حاجته إلى رب لا يرد اليدين صفراً.
2. من أسباب استجابة الدعاء هو التقدم إلى الله بأحد أسماءه الحسنى وصفاته العلى.
3. سقي الناس لا سيما العطاش منهم من أفضل القرب عند الله.

11. رفع صوته -عليه السلام- بالدعاء:

- قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.¹
- قال ابن كثير: قال عطاء بن السائب² لما قال ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ اسمع المرأة.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية ليبين أن موسى -عليه السلام- رفع صوته بالدعاء حتى سمعته بنت الشيخ، هذا يدل على جواز رفع الصوت بالدعاء.

﴿فسقى لهما﴾ أي: فسقى موسى للمرأتين غنمهما بلا أجر؛ رافة ورحمة بهما.⁴

﴿ثم تولى إلى الظل﴾ أي: ثم انصرف موسى إلى ظل هناك.⁵

﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ أي: فقال: رب، إني محتاج إلى أي شيء أنزلته إلي من أي خير كان.⁶

● ما يستفاد من المروية:

¹ القصص: 24.

² عطاء بن السائب الثقفي، (- 136 هـ) تابعي ومحدث الكوفة من موالي ثقيف.

³ أورد ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 243، وأورده الطبري حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن عطاء بن السائب، ج ١٨ ص ٢١٤. وهذا سند ضعيف لأن عطاء مختلط وابن عليه سمع منه بعد الاختلاط فالسند فيه ضعف بسبب احتمال السماع بعد الاختلاط لكنه أثر مقبول في باب التفسير وليس في العقيدة والأحكام.

⁴ ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (212/18)، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو [ت ١٤٤٢ هـ] الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (636/2)، تفسير السعدي (ص: 614)، ((تفسير ابن عاشور)) (101/20).

⁵ ينظر: تفسير ابن جرير (214/18)، تفسير السمرقندي (604/2)، تفسير الألوسي (273/10)، تفسير السعدي (ص: 614).

⁶ ينظر: تفسير ابن جرير (215/18)، تفسير أبي السعود (9/7)، تفسير الشوكاني (192/4)، تفسير السعدي (ص: 614)، تفسير ابن عاشور (102/20).

1. في قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أن الرحمة بالخلق، وإحسان المرء إلى من يعرف ومن لا يعرف: من أخلاق الأنبياء، ومن الإحسان سقي الماشية الماء، وإعانة العاجز.¹
2. في قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴿ دليل على أن شكوى الضر إلى الله مباحة، وسؤاله الغوث جائز، وليس على من أصابه ذلك أن ينتظر إتيانه من الله قبل المسألة؛ اعتماداً على أن الله -جل جلاله- يعلم حاله فيأتيه برزقه؛ لأنه -وإن كان كذلك- فلم يحظر المسألة، بل ندب إليها، وعمل بها نبيه ﷺ، كما ترى، فقال: ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾²، وقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.
3. سرعة استجابة الدعاء عندما يكون من قلب مخلص.
4. دلالة على أن الخير الذي طلبه موسى عليه السلام بدأ يتحقق فوراً.

12. بيان حياء بنت الشيخ الكبير:

قال تعالى ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾³.

قال ابن كثير رحمه الله: قال عمر رضي الله عنه: تستر وجهها بكم⁴ درعها.⁵

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان كيفية الاستحياء، أن البنت تمشي حال كونها مستورة الوجه. ومعنى الآية: فجاءت إحدى المرأتين إلى موسى تمشي مستحية، قالت لموسى -عليه السلام-: إن أبي يدعوك ليكافئك على سقيك لنا الغنم. فلما جاء موسى -عليه السلام- إلى أبيها وقص عليه خبره مع فرعون وقومه، قال له الأب: لا تخف؛ فقد نجوت من هؤلاء القوم الظالمين؛ إذ لا حكم لهم بأرضنا.

¹ ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 619).

² النساء: 32.

³ القصص: 25.

⁴ كُمُ الْقَمِيصِ، يُقَالُ: أَكْمَمْتُ الْقَمِيصَ | | الطَّلَعُ أَيْضاً. وَ لِكُلِّ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ كُمٌ، وَ هُوَ بُرْعُومَتُهُ (المحيط في اللغة ، ج 6 ، ص 152)

⁵ أورده ابن كثير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا [أبي ، حدثنا] أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمر بن ميمون قال : قال عمر رضي الله عنه : جاءت تمشي على استحياء ، قائلة بثوبها على وجهها ، ليست بسلفع خراجه ولاجة . هذا إسناد صحيح .

والآية وصفت حال ابنة شعيب عندما جاءت إلى موسى عليه السلام تدعوه إلى بيت أبيها ولم تكن متبرجة ولا متصنعة.

وتتحدث المروية عن حيائها حيث غطت وجهها بثوبها حياء عند الحديث مع موسى -عليه السلام-.

● ما يستفاد من المروية:

1. في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ بيان كمال خلق هاتين المرأتين؛ حيث جاءت إحداهما تمشي غير مسرعة ولا مهرولة، بل تمشي بهدوء، وهذا دليل على كمال أدبها، وكذلك كونها على استحياء فيه أيضا من كمال الأدب، وعن عمر -رضي الله عنه- قال: "جاءت تمشي على استحياء، قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع، خراجة ولاجة".¹

2. في قوله تعالى: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ أن الحياء -خصوصا من الكرام- هو من الأخلاق الممدوحة.²

3. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أن المكافأة على الإحسان لم تزل دأب الأمم السابقين.³

4. الحياء من صفات الفتاة الصالحة وهو من الإيمان.

5. السلوك الظاهر يعبر عن الأخلاق الباطنة.

6. فيها أن الدعوة إلى الخير لا تتنافى مع الحياء، فقد دعت موسى عليه السلام للخير لكنها فعلت ذلك بأدب وحياء.

13. اختلاف المفسرين في الشيخ الذي تزوج ابنته موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۖ﴾.⁴

قال ابن كثير: وَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِي هَذَا الشَّيْخِ مَنْ هُوَ فَقِيلَ هُوَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرِينَ وَمَنْ نَصَّ عَلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَجَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ فِي حَدِيثٍ وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ وَصَرَّحَ طَائِفَةٌ بِأَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَاشَ عُمُرًا طَوِيلًا بَعْدَ هَلَاكِ قَوْمِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَزَوَّجَ بِابْنَتِهِ،

¹ أخرجه ابن جرير في تفسيره (219/18)، وابن أبي حاتم في تفسيره (2965/9). وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (228/6).

² ينظر: تفسير السعدي (ص: 619).

³ ينظر: تفسير السعدي (ص: 619).

⁴ القصص: 23.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ صَاحِبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا اسْمُهُ شُعَيْبٌ وَكَانَ سَيِّدَ الْمَاءِ وَلَكِنْ لَيْسَ بِالنَّبِيِّ صَاحِبِ مَدْيَنَ.¹

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه الرواية لرد زعم من قال إن المراد بالشيخ هو شعيب -عليه السلام-، وقد تطرق ابن كثير لبيان هذه المسألة في تفسيره أيضا وذكر أدلة من النقل والعقل على أن ذلك الشيخ الكبير غير شعيب نبي الله.

لقد اختلف المفسرون وأصحاب السير في هذه المسألة؛ فمنهم من يثبت المصاهرة بين الرسولين موسى وشعيب، ومنهم من ينفي ذلك، ويستبعد لقاءهما من الأصل.

أما المؤيدون، فإنهم يحاولون إثبات تلك المصاهرة، ويبرهنون على ذلك بأدلة:

قال القرطبي: "وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب عليه السلام، وهو ظاهر القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَأِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾²، كذا في سورة الأعراف، وفي سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾³ قال قتادة: بعث الله تعالى شعيبًا إلى أصحاب الأيكة وأصحاب مدين".⁴

ذكر القشيري⁵ أن شعيبًا لما استأجر موسى قال له: "ادخل بيت كذا وحُذِ عصا من العصي التي في البيت، فأخرج موسى عصا، وكان أخرجها آدم من الجنة، وتوارثها الأنبياء حتى صارت إلى شعيب، فأمره شعيب أن يلقها في البيت، ويأخذ عصا أخرى، فدخل وأخرج تلك العصا، وكذلك سبع مرات كل ذلك لا تقع إلا تلك، فعلم شعيب أن له شأنًا"⁶.

♦ أخرج ابن ماجه والبخاري عن عقبة بن المنذر السلمى قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ سورة طسم حتى إذا بلغ قصة موسى، قال: "إن موسى آجر نفسه ثمانين سنين أو عشرين على عفة فرجه وطعام

¹ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 244.

² الأعراف: 85.

³ الشعراء: 176، 177.

⁴ الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ج 13 ص 270.

⁵ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري (376 - 465 هـ) إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، الملقب بـ «زين الإسلام».

⁶ السابق، ج 13 ص 276.

بطنه، فلما وفق الأجل....."، قيل: يا رسول الله، أي الأجلين قضى موسى؟ قال: "أبرها وأوفاهما، فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاهما ما ولدت غنمه"¹

♦ قال مجاهد والضحاك والحسن: "هو شعيب النبي عليه السلام"².

♦ قال صاحب³ تفسير الجلالين: "قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾⁴؛ أي: واضعة كمّ درعها على وجهها حياءً منه: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾⁵، فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريد لها، فمشيت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها، فقال: امشي خلفي ودليني على الطريق، ففعلت إلى أن جاء أباهما وهو شعيب عليه السلام"⁶.

• وأما المخالفون للرأي السابق، فإنهم يؤكدون أن الذي صاهره موسى ليس شعيباً النبي، وإنما هو رجل آخر.

(1) أخرجه ابن ماجه (2444) وابن أبي عاصم في "الآحاد" (1377) عن محمد بن مُصنف الحمصي ثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مسلمة بن علي عن سعيد بن أبي أيوب عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح قال: سمعت عتبة بن الندر يقول: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأ طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال: فذكره.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (135 / 17) عن إبراهيم بن محمد بن عرق الحمصي ثنا محمد بن مصفى به. ومن طريقه أخرجه المزي في تهذيب الكمال في أسماء الرجال جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ). حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، (١٤٠٠ - ١٤١٣ هـ) (١٩٨٠ - ١٩٩٢ م) (325 / 19).

ومن طريق ابن أبي عاصم أخرجه ابن الأثير في "أسد الغابة" (3 / 570). وأخرجه ابن قانع في "الصحابة" (2 / 269 - 270) عن أحمد بن النضر بن بحر ثنا محمد بن مصفى به. وأخرجه الدينوري في "المجالسة" (9) وأبو نعيم في "الصحابة" (5358) من طريق موسى بن أيوب النَّصَّيْبِي ثنا بَقِيَّةُ بن الوليد به. قال ابن كثير: وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف لأن مسلمة بن علي وهو الحُثَنِيُّ الدمشقي البَلاطِيُّ ضعيف الرواية عند الأئمة "التفسير 3/ 385، وقال البوصيري: إسناده ضعيف لتدليس بَقِيَّةُ مصباح الزجاجة 3/ 76.

² معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠ هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحارثي الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ج 7 عند تفسير الآية 25 من سورة القصص.

³ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ همام الدين الحضير السُّيُوطِي، المشهور باسم جلال الدين السُّيُوطِي، وُلِدَ بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب (القاهرة 849 هـ/ 1445م - القاهرة 911 هـ/ 1505م) إمام حافظ، ومفسر، ومؤرخ، وأديب، وفقه شافعي.

⁴ القصص: 25.

⁵ القصص: 25.

⁶ تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤ هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى ص 325.

♦ قال القرطبي: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، قيل: جاءته ساترةً وجهها بكمّ درعها؛ قاله عمر بن الخطاب، وروى أن اسم إحداهما "ليا"، والأخرى "صفورية" ابنتا "يثرون"، ويثرون هو شعيب عليه السلام، وقيل: ابن أخي شعيب، وأن شعيباً كان قد مات¹.

قال الطبري: "وأما أبوهما ففي اسمه خلاف، فقال بعضهم: كان اسمه يثرون، وعن أبي عبيدة قال: كان الذي استأجر موسى ابن أخي شعيب يثرون، وقال آخرون: بل اسمه يثري، عن ابن عباس قال: الذي استأجر موسى يثري صاحب مدين، وعن شعيب الجببي قال: اسم الجاريتين ليا وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون كاهن مدين والكاهن حبر".

♦ قال وهب بن منبه وسعيد بن جبير: هو يثرون ابن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كُفَّ بصره، فدفن بين المقام وزمزم، وقيل: رجل ممن آمن بشعيب².

♦ قال ابن كثير في تفسيره: "وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾³، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد عُلم أنه كان بين الخليل وموسى عليه السلام مدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة، كما ذكره غير واحد، وما قيل: إن شعيب عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال"⁴.

هكذا احتدم الخلاف بين الفريقين، والسؤال الآن: أي فريق منهما إلى الصواب أقرب؟

بالنظر إلى أدلة الفريق الأول الذي يحاول إثبات أنه شعيب النبي عليه السلام، نرى أنه يستشهد بما لا دليل على صحته؛ مثل: قول القشيري بأن موسى استخرج من بيت شعيب عصا، وهي العصا التي أخرجها آدم من الجنة وتوارثها الأنبياء! هكذا يرد الخبر، دون سند أو دليل، وأما قول القرطبي: وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القرآن، واستشهاده بقول الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾⁵، كذا في سورة الأعراف، وفي سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾⁶، واستشهاده كذلك بقول قتادة: "بعث الله تعالى شعيباً إلى أصحاب الأيكة وأصحاب مدين، فهذا ما لا خلاف

¹ القرطبي ج 13 ص 270.

² تفسير البغوي: معالم التنزيل، ج 7، سبق.

³ [هود: 89]

⁴ تفسير ابن كثير، ج 3 ص 384 - 385.

⁵ الأعراف: 85.

⁶ الشعراء: 176، 177.

عليه، فمعلوم أن الله تعالى بعث شعيباً إلى أصحاب الأيكة وأصحاب مدين، ولكن ذلك لا يدل على أنه التقى بموسى عليه السلام، واستأجره عشر سنين، وزوجه ابنته، فهذا ما لا دليل عليه في تلك الآية أو غيرها.

● ما يستفاد من المروية والآية:

1. أن الرجل إذا أراد الكلام مع المرأة الأجنبية أن يتكلم بقدر الحاجة، فهنا قال موسى ﴿ما خطبكما﴾ بدون مقدمات أو عبارات فيها تلطف.

2. الآية نص في حرمة اختلاط النساء بالرجال إذا لم تدع الضرورة إلى ذلك.

3. فيها أن المحتاجين من أزكى الأعمال ودليل على مروءة المغيث.

14. ذكر أن أفرس الناس بنت الشيخ الكبير:

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾¹.
قال ابن كثير: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَفْرَسُ² النَّاسِ ثَلَاثَةٌ صَاحِبُ يُوسُفَ حِينَ قَالَ ﴿لَا مَرَاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ وَصَاحِبَةُ مُوسَى حِينَ قَالَتْ ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ³.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه الرواية لبيان أن تلك المرأة كانت أعقل الناس وقد دل على عقلها طلبها من أبيها أن يعوض موسى عليه السلام لأجل ما قدم لهما من خدمة وأن الإحسان يجازى بالإحسان.

المعنى الإجمالي:

¹ القصص: 26.

² في الحديث: اتَّفَقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمَنِ. ؛ قال ابن الأثير: يقال بمعنيين: أحدهما ما دل ظاهر الحديث عليه وهو ما يُوقَّعُه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظنِّ والحُسن، والثاني نَوْعٌ يُتَعَلَّمُ بالدلائل والتَّجَارِبِ وَ الْخُلُقِ وَ الْأَخْلَاقِ فَتُعْرَفُ بِهِ أحوال الناس، و للناس فيه تصانيف كثيرة قديمة و حديثة، و استعمل الزجاج منه أَفْعَلَ فقال: أَفْرَسَ النَّاسَ أَي أَجودهم و أَصدقهم فِرَاسَةً: امرأة العزيز في يوسف، على نبينا و عليه الصلاة و السلام، و ابنة شُعَيْبٍ في موسى، على نبينا و عليهم الصلاة و السلام، و أَبُو بَكْرٍ في تولية عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما. (لسان العرب ، ج 6 ، ص 160).

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 202، والمستدرک لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، ج 3 ص 86.

وهذا سند حسن مقبول وقد أورده الطبراني بإسنادين أحدهما جيد والآخر فيه ضعف في رجل.

يقول الله تعالى مبينا ما أشارت به إحدى الفتاتين على أبيها: قالت إحدى المرأتين: يا أبت استأجر هذا الرجل؛ لرعي غنمنا وسقيها، إن خير من تستأجره القوي الأمين، وقال الأب لموسى: إني أريد أن أزوجه إحدى ابنتي هاتين على أن ترعى لي الغنم ثماني سنين، فإن أتممت المدة إلى عشر سنين فذلك تفضل وإحسان منك، وما أريد أن أكلفك ما يشق عليك، ستجدني إن شاء الله من الصالحين.

قال موسى له: ذلك الذي اتفقنا عليه واجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه، أي الأجلين -الثماني أو العشر سنين- قضيت، فليس لك أن تظلمني وتطالبني بأكثر من ذلك، والله على ما قلنا حفيظ وشاهد.

وتبرز هذه المروية مكانة الفراسة والبصيرة وضرورة اختيار الأكفاء بناء على الصفات الحقيقية لا الظواهر، وتدل على ذكاء البنت حيث لاحظت على موسى عليه السلام صفتين نادرتين هما القوة في العمل والأمانة في السلوك.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1- في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَأْبَتِ اسْتُجِرْهُ﴾ مشورة الأدنى للأعلى؛ لقولها: استأجره؛ لأن الأمر هنا ليس للإلزام، ولكن للمشورة والعرض؛ فقد يكون الأدنى أعلى من الأعلى في بعض الأمور، كما أن المفضل قد يكون أفضل من الفاضل في بعض الأمور، ويستفاد بيان أن مشورة الإنسان على أبيه لا تعد من التنقص له.

2- في قوله تعالى: ﴿يَأْبَتِ اسْتُجِرْهُ﴾ تلطف هذه المرأة في مخاطبة أبيها؛ لقولها: يا أبت، ولهذا قالوا: لا ينبغي للإنسان أن ينادي والده باسمه، كأن يقول مثلاً: يا عبد الرحمن! يا عبد العزيز! وما أشبه ذلك، حتى إن بعضهم يقول: إذا نادى أباه باسمه يعزر؛ لأنه نوع من الاحتقار له، وأما الخبر عنه باسمه فلا بأس، مثل أن يقول: قال فلان، فلا حرج؛ ولهذا كثيراً ما نسمع في الأحاديث أن ابن عمر يقول: «قال عمر» وما أشبه ذلك، وهذا لا بأس به، بخلاف النداء؛ فالنداء له حال، والخبر له حال أخرى.

3- في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾¹ الاستثناء في غير الدعاء، وقد قال إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين²، وقال موسى للخضر عليهما السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾³، والاستثناء في غير الدعاء توحيد وتفويض إلى الله، وبراءة من الحول والقوة.

¹ القصص: 27.

² الصافات: 102.

³ الكهف: 69.

4. الفراسة الصادقة قد تكون إلهاما من الله للمؤمن.
5. حسن اختيار العامل يجب أن يبنى على القوة والأمانة لا مجرد الثقة.
6. القيادة الناجحة تجمع بين الكفاءة والنزاهة.

15. هل آجر موسى عليه السلام نفسه على عفة فرجه وطعام بطنه؟

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝¹ 》

قال ابن كثير: وَاسْتَدَلَّ أَصْحَابُ أَحْمَدَ² عَلَى صِحَّةِ الْإِيجَارِ بِالطُّعْمَةِ وَالْكُسُوفَةِ كَمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ وَاسْتَأْنَسُوا بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ مُرْجَمًا فِي كِتَابِهِ (بَابُ اسْتِئْجَارِ الْأَجِيرِ) عَلَى طَعَامِ بَطْنِهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ الصَّفِيِّ الْحَمَاصِيُّ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ سَمِعْتُ عَتَبَةَ بْنَ الدَّرِّ يَقُولُ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ طَسَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ قِصَّةَ مُوسَى قَالَ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِي سِنِينَ أَوْ عَشْرَةَ عَلَى عِقَّةِ فَرْجِهِ³ وَطَعَامِ بَطْنِهِ، وَهَذَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لَا يَصِحُّ لِأَنَّ مَسْلَمَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْحَسَنِي الدِّمَشْقِيَّ الْبَلَاطِيَّ ضَعِيفٌ.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير رحمه الله هذه المروية لرد ما ذهب إليه الحنابلة على أن الإيجار يصح بالطعمة والكسوة استدلالاً بهذا الحديث، رد عليهم ابن كثير أن الحديث لم يثبت.

وهذه الرواية تظهر جانباً علمياً وإنسانياً في حياة موسى -عليه السلام- حيث قبل الزواج مقابل العمل طلباً للغة والرزق الحلال مما يدل على التواضع والحرص على الطهارة وتدل أيضاً على أن الشرع يقدر مقاصد الإنسان النبيلة ولو كانت دنيوية إذا كانت بوسائل شرعية.

واختلف العلماء في حكم الاستئجار بالطعام والكسوة فأجازه قوم ومنعه آخرون، وحجة المجيزين ما رواه أحمد وابن ماجه عن عتبة بن الندر قال: كنا عند النبي، صلى الله عليه وسلم، فقرأ طسم حتى بلغ قصة موسى عليه

¹ القصص: 27.

² أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني (164هـ - 241هـ / 780 - 855م) فقيه ومحدث مسلم، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي، واشتهر بعلمه الغزير وحفظه القوي، وكان معروفاً بالأخلاق الحسنة كالصبر والتواضع والتسامح، وقد أثنى عليه كثير من العلماء منهم الإمام الشافعي بقوله: «خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أروع ولا أتقى ولا أفقه من أحمد بن حنبل». ويُعدُّ كتابه «المسند» من أشهر كتب الحديث وأوسعها.

³ الكف عما لا يحل (العين ، ص92).

السلام فقال: «إن موسى أجر نفسه ثمان سنين أو عشر سنين على عفة فرجه وطعام بطنه» وهو مروى عن أبي بكر وعمر وأبي موسى.

وإلى هذا ذهب مالك¹ والحنابلة، وجوزه أبو حنيفة في الظئر دون الخادم... وقال الشافعي وأبو يوسف² ومحمد والهادوية والمنصور بالله لا يصح للجهالة... ويرى المالكية الذين أجازوا استئجار الاجير بطعامه وكسوته: أن ذلك يكون على حسب المتعارف.

قالوا: ولو قال: احصد زرعي ولك نصفه، أو اطحنه أو اعصر الزيت، فإن ملكه نصفه الآن جاز، وإن أراد نصف ما يخرج منه لم يجز، للجهالة.

ولقد ذكر هذه الرواية كثير من أهل العلم في كتبهم بأسانيد مختلفة كلها ضعيفة وحكم بضعف هذا الحديث كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين ومنهم: ابن حجر³ والألباني⁴.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. فيها أن القوة والأمانة من أكمل صفات الرجال.
2. فيها أن الصفة الواحدة تكمل بالثانية، من كان قويا ولم يكن آمينا لم ينفعه ذلك.
3. فيها أن المهر يصح أن يكون في صورة المعنويات، الرسول -صلى الله عليه وسلم- تزوج صفية وجعل عتقها صداقها.
4. الأنبياء لا يأنفون من العمل الشريف ولو كان بسيطا فموسى عمل راعيا وتزوج بأجر عمله.

¹ أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحِمَيرِيّ المدني. (93 هـ - 179 هـ / 711 - 795 م) فقيه ومحدّث مسلم، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي. اشتهر بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي وتبنيته فيه، وكان معروفاً بالصبر والدكاء والهيبة والوقار والأخلاق الحسنة، وقد أثنى عليه كثير من العلماء منهم الإمام الشافعي بقوله: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم، ومالك حجة الله على خلقه بعد التابعين».

² أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الأَنْصَارِيُّ (113 هـ - 182 هـ / 731 - 798 م) المشهور بأبي يوسف وهو من تلاميذ الإمام أبي حنيفة النعمان. «القاضي أبو يوسف هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبّيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي».

³ فتح الباري بشرح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ] قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب [ت ١٣٨٩ هـ]، الناشر: المكتبة السلفية - مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ (٤/٥٢٠).

⁴ إرواء الغليل في تخرّيج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ) إشراف: زهير الشاويش [ت ١٤٣٤ هـ] الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م (١٤٨٨)

16. كشف الحجاب عن الأجل الذي قضاه موسى كليم الله الأواب:

قال تعالى ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾¹.
قال ابن كثير: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «سَأَلْتُ جِبْرِيلَ أَيَّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَىٰ قَالَ أَمَّتَهُمَا وَأَكَمَّلَهُمَا» وَإِبْرَاهِيمَ هَذَا غَيْرُ مَعْرُوفٍ إِلَّا بِهَذَا الْحَدِيثِ².

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية وغيره من الأحاديث الدالة على أن موسى -عليه السلام- قضى أبعد الأجلين، كلها صحاح الإسناد.

ومعنى الآية أن موسى قال له إن العهد الذي تم بيننا ستجدني وفيما عليه ولن أخلفه وأيما المدتين قضيتها فلا يكون لك مطالبة بالزيادة عليها، قد جعلنا الله وكيلا حافظا يراقبنا ويعلم سرنا وجهرنا.

ومن بلاغة هذه الآية أن (ما) في أَيَّمَا صِلَةٌ للتأكيد؛ لِيَصِيرَ الموصولُ شَبِيهًا بِأَسْمَاءِ الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ تَأْكِيدَ (ما) في اسم الموصول من الإيهام يُكْسِبُهُ عُمُومًا، فَيُشْبِهُ الشَّرْطَ؛ فَلِذَلِكَ جُعِلَ له جوابٌ كجوابِ الشَّرْطِ.

- وقوله: فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ أَبْلَغُ في إثباتِ الْحَيَرَةِ، وَتَسَاوِيِ الْأَجَلَيْنِ فِي الْقَضَاءِ مِنْ أَنْ يُقَالَ: (إِنْ قَضَيْتُ الْأَقْصَرَ - فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ).

ويقع في أذهان بعض الناس إشكال أورده الزمخشري في الكشف حيث قال:

فإن قلت: تصور العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر، وهو المطالبة بتتمة العشر، فما معنى تعليق العدوان بهما جميعاً؟ قلت: معناه، كما أنى إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني.

أراد بذلك تقرير أمر الخيار، وأنه ثابت مستقر، وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء، وأما التتمة فهي موكولة إلى رأي.

¹ القصص: 28.

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 247، وفي صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببلاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوَّرَهَا بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة، رقم الحديث 2684.

إن شئت أتيت بها، وإلا لم أجبر عليها...¹

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَمَّمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ أنه يجوز أن يجعل الإنسان العمل عملين: عملاً واجباً، وعملاً تبرئاً؛ فيجوز للإنسان أن يطلب استئجار شيء ما -مثلاً- عشر سنوات بالأجر، وستين تبرئاً من صاحبها برغبته ومشيتته.

2. قول الله تعالى حكاية عن صاحب مدين مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ليس هذا من تركية النفس المنهي عنه؛ لأن المنهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدح؛ فأما ما كان لغرض في الدين أو المعاملة، فذلك حاصل لداع حسن، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.²

3. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ استدلال به على أن العقود ليست لها صيغ معينة، فتعقد بما دلت عليها، وكذلك الفسوخ، وكذلك الولايات؛ كل التصرفات من عقود وفسوخ وولايات فإنها تصح بما دل عليها، ولا يشترط لها لفظ معين، بل تجري على ما يتعارفه الناس بينهم.

4. في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أن العقود عهد في الحقيقة، وهو كذلك؛ لأن كل إنسان يعقد مع شخص فقد التزم ألا يخونه، والتزم أن يفي له بمقتضى هذا العقد؛ فيكون بذلك عهداً.

5. جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إيجاب؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

17. تعيين أحد الأجلين الذي قضاها موسى عليه السلام:

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.³

¹ الكشاف لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ] ضبطه وصححه ورثه: مصطفى حسين أحمد الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م [وبآخر الكتاب: «كان الفراغ من طبعه سنة ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٧ م»] فليحذر ج 3 ص 405.

² يوسف: 55.

³ القصص: 28.

عن أبي ذر¹ أن رسول الله ﷺ سئل أي الأجلين قضى موسى قال «أوفاهما² وأبرهما قال وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما»³.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لتعيين أحد الأجلين الذي قضاه موسى -عليه السلام- وهو عشر سنوات، أن موسى -عليه السلام- تزوج بالصغرى من بنتي الشيخ الكبير، وبهذا يعلم أن الرسول ﷺ قام ببيان ما أجمل الله من القرآن.

يقول الله تعالى مبينا ما أشارت به إحدى الفتاتين على أبيها: قالت إحدى المرأتين: يا أبت استأجر هذا الرجل؛ لرعي غنمنا وسقيها، إن خير من تستأجره القوي الأمين، قال الأب لموسى: إني أريد أن أزوجه إحدى ابنتي هاتين على أن ترعى لي الغنم ثماني سنين، فإن أتممت المدة إلى عشر سنين فذلك تفضل وإحسان منك، وما أريد أن أكلفك ما يشق عليك، ستجدني إن شاء الله من الصالحين.

قال موسى له: ذلك الذي اتفقنا عليه واجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه، أي الأجلين -الثماني أو العشر سنين- قضيت، فليس لك أن تظلمي وتطالبني بأكثر من ذلك، والله على ما قلنا حفيظ وشاهد.

وفي هذا الأثر أنه عليه السلام سئل عن الأجل الذي قضاه موسى عليه السلام هل أكمل ثماني سنين أم عشر، فأجاب أنه قضى عشر سنين وأنه تزوج بالصغرى منهما.

● ما يستفاد من المروية:

1. قوله تعالى: ﴿ذلك بيني وبينك﴾ استدلل به على أن العقود ليست لها صيغ معينة، فتتعدد بما دلت عليها، وكذلك الفسوخ، وكذلك الولايات؛ وكل التصرفات من عقود وفسوخ وولايات فإنها تصح بما دل عليها، ولا يشترط لها لفظ معين، بل تجري على ما يتعارفه الناس بينهم⁴.

¹ أبو ذرٍّ جُنْدَبُ بْنُ جُنَادَةَ الْغِفَارِيُّ (المتوفى سنة 31 هـ أو 32 هـ) صحابي من السابقين إلى الإسلام. قيل إنه رابع أو خامس من دخل في الإسلام، وأحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة النبوية.

² اسم تفضيل وهي (الوفيا). (أقرب الموارد، ج 5، ص 805).

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 245. كشف الأستار 2246، وفي إسناده ابن لهيعة وفيه ضعف وقد يحسن حديثه، وبقيته رجاله رجال الصحيح، وعزاه في الدر المنثور ج 5 ص 126 إلى ابن أبي حاتم.

⁴ ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة القصص (ص: 129).

2. في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أن العقود عهود في الحقيقة، وهو كذلك؛ لأن كل إنسان يعقد مع شخص فقد التزم ألا يخونه، والتزم أن يفي له بمقتضى هذا العقد؛ فيكون بذلك عهداً.¹
3. جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إظهار؛ لقوله: ﴿والله على ما نقول وكيل﴾.²
4. في قوله تعالى: ﴿على ما نقول وكيل﴾ جواز تخصيص العموم لغرض، أي: جواز تعليق الشيء العام بأمر خاص بغرض؛ فإن قوله: ﴿على ما نقول وكيل﴾ يقتضي تخصيص وكالة الله سبحانه وتعالى بما قاله فقط، ولكن الأمر ليس كذلك، إنما خصص هذا لغرض العناية به.³
5. في قوله تعالى: ﴿على ما نقول وكيل﴾ جواز إظهار الله على العقد، ولكن شرعا لا يقتصر على ذلك، لكن باطنا فيما بينهم وبين الله يكتفى به؛ ويستفيد الرجل إذا أشهد الله أو جعله الوكيل الحفيظ المراقب أن يذكر بانتقام الله منه إذا خالف أو خان؛ فمن أشهد الله ثم خان فقد استخف به، وهي كذلك في حق المخلوقين، فما بالك أن تكون في حق الله عز وجل؟!⁴
6. استحباب الوفاء بالعهد والزيادة فيها.
7. بيان تواضع النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على توقف عندما لم يوح الله إليه.

18. بيان أن الغنم التي رعاها موسى -عليه السلام- باق نسلها في الشام:

- قال تعالى ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا غُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.⁵
- قال النبي ﷺ «لو اقتحمت⁶ الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية».⁷

¹ ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة القصص (ص: 130).

² ينظر: تفسير السعدي (ص: 619). واستدل بالآية أيضا على عدم اشتراط الإظهار في النكاح؛ لأنه اكتفى بشهادة الله، ولم يشهد أحدا من الخلق. ينظر: الإكليل في استنباط التنزيل عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت هـ - ١٩٨١ م (ص: 204). وينظر أيضا: ((أحكام القرآن)) لابن العربي (509/3).

³ ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة القصص)) (ص: 131).

⁴ ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة القصص (ص: 131).

⁵ القصص: 28.

⁶ هاجم، دخل غنوة، أي بالقوة والعنف إلى موضع: «أفتحم قَصْرًا»، «أفتحم منزل فلان»، «أفتحم خنادق» || رَمَى بنفسه في شدة عظيمة غير مبالٍ ولا هيأب: «أفتحم المخاطر» || أَقْدَمَ على خَوْضِ غِمَارٍ عَمَلٍ صَغْبٍ وَ انْطَلَقَ فِيهِ: «أفتحم مَيِّدَانِ الْأَعْمَالِ»، «أفتحم مَيِّدَانِ السِّيَاسَةِ» (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص 1128).

⁷ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 246. أخرجه ابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (1378)، وابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (16867) كلاهما بلفظه، وابن ماجه (2444) مختصرا دون قصة الغنم.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية أن الغنم التي كان الناس يدفعونها عند البئر باقية في بلاد الشام. يقول الله تعالى مبينا ما أشارت به إحدى الفتاتين على أبيها: قالت إحدى المرأتين: يا أبت استأجر هذا الرجل؛ لرعي غنمنا وسقيها، إن خير من تستأجره القوي الأمين. قال الأب لموسى: إني أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين على أن ترعى لي الغنم ثماني سنين، فإن أتممت المدة إلى عشر سنين فذلك تفضل وإحسان منك، وما أريد أن أكلفك ما يشق عليك، ستجدني إن شاء الله من الصالحين.

قال موسى له: ذلك الذي اتفقنا عليه واجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه، أي الأجلين -الثماني أو العشر سنين- قضيت، فليس لك أن تظلمني وتطالبني بأكثر من ذلك، والله على ما قلنا حفيظ وشاهد.

شرح ابن كثير أن الغنم التي رعاها موسى عليه السلام في مدين بقي نسلها في الشام، ويربط ذلك بالآية التي تحدثت عن اتفاق موسى مع ذلك الرجل ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى بقاء نسل تلك الغنم في بلاد الشام.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. اهتمام الصحابة بالتحقق من وجود الآثار السابقة.
2. فيها استحباب إشهاد الله على العقد الذي يتم بين الفريقين.
3. فيها أن موسى عليه السلام كان مخيرا بين الأجلين أيهما فضاه وقد قضى أكمله كما ثبت بذلك حديث.
4. الحديث يدل على أن بلاد الشام مباركة حتى إن نسل الغنم التي رعاها موسى عليه السلام بقي فيها.
5. استخدام النبي صلى الله عليه وسلم للمعلومة التاريخية يدل على أهمية معرفة التاريخ وربطه بالواقع.

19. تفصيل دقيق للعقد الذي وقع بينهما

﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۖ ﴾¹.

¹ القصص: 28.

قال ابن كثير: حدثنا أنس بن مالك¹ قال لما دعا نبي الله موسى صاحبه الى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على لونها فلك ولدها فعمد فوضع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة² فولدن كلهن بلقا الا شاة واحدة فذهب بأولادهن ذلك العام وهذا إسناد رجاله ثقات والله أعلم.³

● التحليل والمناقشة:

في هذه المروية الأمور الزائدة وتفصيل دقيق للعقد الذي تم بين موسى عليه السلام وذلك الشيخ الكبير، يقول أنس بن مالك -رضي الله عنه-، أن نبي الله يعني شعيب وهذا يؤيد قول من قال إنه شعيب عليه السلام دعا موسى إلى الأجل ليبدأ بالعمل إن لك أولاد الغنم إذا ولدت مشابهة حتى أخذ تلك السنة بأولاد جميع الشياه. وفي المروية يخبر أنس رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما أكمل المدة التي بينها وبين الشيخ الكبير أراد أن يفي له بشاة واحدة مميزة كما اتفقا فقال له الرجل: خذ من هذه الشياه ما يولد كذا وكذا مثلاً سوداء وكان هذا الأمر نادراً يعني لن تلد إلا واحدة بذلك اللون، ولما وضع عصاه في الماء جاء انعكاس شيء في الماء فلما رآته الشياه خافت وهربت إلا واحدة لم تخف فكانت هي الشاة المميزة فولدت كلها توائم بلود محدد مما جعله يحصل على جميعها .

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. جواز إشهد الله في الأمور واستحباب توكيل الأمر إليه.
2. يجوز أن ييهم أحد الأجلين بين المتعاقدين ولا يجب تعيين أحدهما لوجود الخيار فيهما.
3. الوفاء بالعهود من صفات الأنبياء.
4. النية الصادقة تفتح أبواب الرزق.

20. بيان أن الرسل يسألون حسب الحاجة لا الزيادة:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.⁴

¹ أبو حمزة أنس بن مالك النجاري الخزرجي صحابي عاش بين 10 ق.هـ و 93 هـ كان خادماً للنبي محمد ﷺ، وهو أحد المكثرين لرواية الحديث.

² طاف غير مستقر فيها و منه «يجول في صدري ان افعل كذا» (أقرب الموارد ، ص488)ز

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 246. أخرجه أبو يعلى (2907)، والطبري في ((التفسير)) (19/ 570)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (40/ 61) جميعهم بلفظه، وإسناده جيد.

⁴ طه: 25-28.

قال ابن كثير: قال الحسن البصري¹ والرسول إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا بقيت في لسانه بقية² ولهذا قال فرعون قبحه الله فيما زعم إنه يعيب به الكليم.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية ليبين أن دعاء موسى ربه أن يشرح صدره ويحل عقدة من لسانه كان ذلك بقدر حاجة لأن ذلك من عادة الرسول.

ومعنى الآية أن موسى عليه السلام قال يا رب وسع لي صدري؛ لأعي ما توحيه إلي، وأتجرأ على مخاطبة فرعون، وأتحمل أذاه ووعيده، فلا يضيق صدري⁴ وقال يارب وسهل علي -يا رب- القيام بشأن الرسالة، ودعوة فرعون، واجعل ما تكلفني به من الطاعات، وما يعتريني من الشدائد في سبيلك هينا علي⁵ وأطلق الانحباس الشديد الذي في لساني؛ كي ينطلق، ويسهل علي الكلام⁶ فيفهم الناس قولي حين أخاطبهم.⁷

وفي هذه المروية يوضح أن موسى -عليه السلام- لم يكن إلا الحاجة حقيقية لأنه كان ثقیل اللسان منذ الصغر، وطلبه لمشاركة هارون لأنه أفصح منه لساناً، فكان أنسب للمخاطبة.

● ما يستفاد من المروية:

1. قوله تعالى: ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل: أن يشرح له صدره فيما بعثه به؛ فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم؛ بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنوداً، وأعمرهم ملكاً، وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلها غيره! هذا وقد مكث موسى في داره مدة ولیدا عندهم في حجر فرعون على فراشه، ثم قتل منهم نفساً فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكمالها، ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له.⁸

¹ الحسن بن يسار البصري (21 - 110 هـ) إمام وقاضي ومحدث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم. تنقل الحسن البصري بين مدن عدة، أولاها المدينة المنورة مسقط رأسه ومكان نشأته الأولى، سافر إلى كابل مع فاتحيها، كما عمل كاتباً للربيع بن زياد الحارثي في خراسان على عهد معاوية بن أبي سفيان، ثم استقر بالبصرة فنُسب إليها فاشتهر باسم «الحسن البصري».

² ما تبقى من شيء تَبَدَّد: «بقايا ثروة» | | خطام، فلول: «بقايا جَيْش» (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص 109).

³ أورده ابن كثير في البداية ج 1 ص 249.

⁴ ينظر: تفسير ابن جرير (52/16)، البسيط للواحدي (387/14)، تفسير القرطبي (192/11)، تفسير السعدي (ص: 504).

⁵ ينظر: تفسير ابن جرير (52/16، 53)، تفسير السعدي (ص: 504)، تفسير ابن عاشور (210/16، 211).

⁶ ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (18/2)، تفسير ابن جرير (53/16)، تفسير ابن كثير (282/5).

⁷ ينظر: تفسير ابن جرير (54/16)، تفسير القرطبي (193/11)، تفسير السعدي (ص: 504).

⁸ ينظر: تفسير ابن كثير (282/5).

2. قول الله تعالى حكاية عن نبيه موسى: ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ فيه أن فصاحة لسان الداعية إلى الدين، والواعظ المنذر؛ تعين على تدبر ما يقول، وفقهه.¹
3. التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.
4. مشروعية الاستعانة بمن هو أصلح في بعض المهام.
5. الإخلاص في الطلب دون تجاوز الحاجة.

21. بيان أن موسى -عليه السلام- آمن على أخيه أي أكثر إحسان عليه:

قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾².

قال ابن كثير: وَقَدْ سَمِعْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَجُلًا يَقُولُ لَأَنَاسٍ وَهُمْ سَائِرُونَ طَرِيقَ الْحَجِّ (أَيُّ أَخٍ أَمَرْتُ³ عَلَى أَخِيهِ) فَسَكَتَ الْقَوْمُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِمَنْ حَوْلَ هَوْدَجِهَا⁴ هُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ حِينَ شَفَعَ فِي أَخِيهِ هَارُونَ فَأَوْحَى إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا.⁵

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية في قصة موسى عليه السلام لأن فيها بيان المودة التامة بين أخوين فاضلين أحب أحدهما الآخر حبا حقيقيا، جعل الله أحدهما ساعدا يعضد الآخر، يسليه ويعزيه في مواسم المصائب، قد أرسلهما معا إلى فرعون ليدعوا إلى الإسلام، طغى واستكبر هو وجنوده.

وقد يرد إشكال على المروية أن فيها إثبات المنة لموسى عليه السلام، والمنة صفة لا يحبها الله، وورد في نصوص كثيرة المنع عنها، قال تعالى: ﴿يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾⁶.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «المنان بما أعطى ..».

¹ ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (353/9).

² القصص: 33-34.

³ أي أكثر منة.

⁴ مركب لنساء الأعراب ، و ليس بفودج (العين ، ج 3 ، ص 386).

⁵ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 249. وهذا أثر موقوف على عائشة رضي الله عنها وليس حديثا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف له إسناد متصل قوي في كتب الحديث، لكنه يتداول في كتب التفسير والأدب.

⁶ الحجرات: 17.

وذكر المفسرون أن موسى عليه السلام كان قد وضع الجمرة في فيه، أثرت ذلك على قوة تكلمه.
 وقوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ قرأه بعضهم بالجزم، لى أن الفعل المضارع إذا وقع في جواب الأمر جزم، ما في قول
 امرء القيس: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل، تقدير الآية حينذاك أرسله معي كي يصدقني.
 وليس معنى قوله ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ أن هارون يقول له صدقت، ل معناه أنه يقوم بتبليغ الرسالة على أحسن وجه
 وأتم. أفاده الزمخشري.

الفرق بينهما من جوانب متعددة:

هارون أكبر من موسى وأسبق موتاً منه أي هارون تقدم مولده وتقدمت وفاته.
 ولد هارون في العام الذي كان فرعون لا يقتل فيه وولد موسى في العام الذي فيه قتل ونجاه الله جل وعلا في
 قصة معروفة لن نقف عندها طويلاً لأنها شهيرة وقلنا إن هذا درس علمي محض.
 موسى وهارون الأصل أن الله نبأ موسى وبعثه ثم إن موسى سأل الله تبارك وتعالى أن يجعل من أخيه هارون
 نبياً فاستجاب الله جل وعلا دعاءه ولهذا نعت الله جل وعلا موسى بقوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ بعثهم الله
 جل وعلا إلى فرعون وملائه ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ وقال جل وعلا: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذان
 موسى وهارون. هارون كان أفصح وموسى كان هو الأصل المخاطب به النبوة وهو أشد سكيناً وحزماً من
 أخيه وأعلم وأفضل جملة لأن الله جل وعلا فضل النبيين بعضهم على بعض وموسى معدود من ألو العزم من
 الرسل وكان هارون محبباً في قومه أي في بني إسرائيل كانوا يحبونه جداً وقد جاء في رواية الإسراء والمعراج:
 «فوجدت رجلاً تكاد تلامس لحيته سرته قلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبب في قومه هارون بن عمران».

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. والمتأمل في هذا الكلام الذي ساقه الله -تبارك وتعالى- على لسان موسى -عليه السلام- يرى فيه إخلاصه
 في تبليغ رسالة ربه، وحرصه على أن يؤتى هذا التبليغ ثماره الطيبة على أكمل صورة، وأحسن وجه.
2. تتبين من منها فطنة عائشة رضي الله عنها وقوة استحضارها للعلم والحكمة حيث بينت للناس أن المنة
 الحقيقة ليست بالمال والأمور الدنيوية بل المنة أن تحسن إلى الناس بإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويجعل
 أحدهم هادياً يهدي بنور الله إلى الحق.

22. بيان مفصل لسفر موسى وهارون -عليهما السلام- لأجل دعوة فرعون:

قال تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾¹.

وقد ذكر السدي وغيره أنه لما قدم من بلاد مدين دخل على أمه وأخيه هارون وهما يتعشيان من طعام فيه الطفشيل² وهو اللفت فأكل معهما، ثم قال يا هارون إن الله أمرني وأمرك أن ندعو فرعون إلى عبادته فقم معي فقاما يقصدان باب فرعون فإذا هو مغلق فقال موسى للبوابين والحجبة أعلموه أن رسول الله بالباب فجعلوا يسخرون منه ويستهزءون به.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لتفصيل سفر دعوة موسى وهارون عليهما السلام، تبين بها أن الله خاطب بهذا موسى -عليه السلام- دون هارون، وكان الخطاب له كان خطاباً لأخيه أيضاً، ثم ذهب موسى -عليه السلام- إلى أخيه فأخبره بأمر الله وأنهما كلفا بحمل الرسالة إلى فرعون وعلمه الله أسلوب الدعوة فأمره باجتنب القول الشديد لأن ذلك سبب الفرقة وخللا في الدعوة، ما أدخل اللين في شيء إلا زانه.

وفي هذه المروية أنه لما قدم موسى عليه السلام من بلاد مدين دخل على أمه وأخيه هارون وهما يتعشيان من طعام وهو نوع من النباتات البرية التي كانت تؤكل في ذلك الزمان، وكان ذلك وقت اجتماع العائلة فسر موسى عليه السلام برؤية أخيه هارون الذي كان له عوناً ونصيراً في دعوته وكان أفصح منه لساناً، فأرسله الله معه ليكون له معاوناً في مواجهة فرعون.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. من أسباب نجاح الدعوة لين الجانب مع المخالف.
2. من آداب الدخول على الآخرين استئذانهم وإعلامهم قبل الدخول عليهم.
3. التأكيد على قرب العلاقات الأسرية فلقاء موسى عليه السلام بأمه وأخيه بعد عودته من مدين يدل على أهمية الروابط العائلية ودعم الأسرة في الأوقات الصعبة.
4. الصبر والرضا في مواجهة المصاعب فهذا النوع من النبات البري ربما غير مرغوب كثيراً لكنهم يتناولونه بصبر وهذا درس في القناعة والرضا.

¹ سورة طه: 44.

² طعام يتخذ من اللحم و السلق و العدس المقشّر و الخل ، ينفع من الموادّ الحارّة كالشّرى و نحوه. (كتاب الماء ، ج 2 ، ص 466).

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 254، ولم أجد له سنداً إلى السدي، وعلى فرض صحته فإنه قد يكون من الإسرائيليات التي تلقاها السدي عن قرأ في كتب أهل الكتاب.

5. الاستعداد الروحي والعملي للدعوة، فاللقاء هنا يرمز لبداية مرحلة جديدة من التحدي في مواجهة فرعون، حيث تبدأ الدعوة الفعلية بدعم من الله.

23. بيان عدد الذين جمعهم فرعون لمبارزة موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾¹.

قال ابن كثير: وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعِينَ غُلَامًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمَرَهُمْ فِرْعَوْنُ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْعُرَفَاءِ² فَيَتَعَلَّمُوا السِّحْرَ وَلِهَذَا قَالُوا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَفِي هَذَا نَظَرٌ³.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير رحمه الله هذه المروية لبيان عدد الذين حشروهم فرعون لمبارزة موسى عليه السلام وأنهم كانوا أربعين نفرا أرسلوا إلى السحرة ليتعلموا منهم السحر، م تعقب ابن كثير هذه الرواية بقوله: وفي هذا نظر، كأنه لا يرى هذا الرأي، أنه ذكر قبل ذلك روايات أخرى عن بقية المفسرين مختلفة عن قول ابن عباس رضي الله عنهما، هي أقوال مختلفة أجملها كالآتي:

أولاً: أنهم كانوا ثمانين ألفاً قاله مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ.

ثانياً: وَقِيلَ سَبْعِينَ أَلْفًا قاله القاسم بن أبي بردة.

ثالثاً: وَقَالَ السُّدِّيُّ بِضْعَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا.

رابعاً: وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا.

خامساً: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا.

سادساً: وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ كَانُوا اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا.

¹ سورة طه - الآية 63.

² قال ابن الأثير: العُرَفَاءُ جمع عَرِيف و هو القَيِّمُ بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم و يَتَعَرَّفُ الأُمِيرُ مِنْهُ أحوالهم، فَعِيل بمعنى فاعل، و العُرَفَاءُ عَمَلُهُ، و قوله: العِرَافَةُ حق. أي فيها مصلحة للناس و رَفُقَ فِي أُمُورِهِمْ و أحوالهم، و قوله: العُرَفَاءُ فِي النَّارِ (لسان العرب ، ج 9 ، ص 238)

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 254.

ومن البلاغة التي تحملها الآية أنهم نسبوا السحر لهارون أيضا لكون هدفهما واحدا ولأنه اقتفى أثر أخيه في تبليغ الرسالة، تى ينقصوا من شأنهما ويخطوا من قدرهما، غم ظهور صدقهما ولكن فعلوا كل ذلك عنادا واستكبارا.

- قوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ من قبْلهم مُؤكِّدٌ لِمَا قَبْلَهُ من الأمرين؛ فهو تذييلٌ للكلام يجمع ما قصده من تأمرهم، بأنَّ الفلاح يكون لمن غلبَ وظَهَرَ في ذلك الجمع، فاستعلى مُبالغةٌ في علا، أي: علا صاحبه وقهره، فالسَّيْنُ والتَّاءُ للتأكيد مثلُ استأخَرَ.¹

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. فيها أن الكفار يحاولون بكل ما يملكون من عدد وعدة أن يغلبوا على الإسلام وأهله.
2. فيها ذكر عادة المشركين في تلقاء الأنبياء والمؤمنين وهي اتهامهم بما ليس فيهم وإثارة الناس خلافهم بحجة أنهم يفسدون في الأرض.
3. الإكراه على الباطل لا يغير الحكم لأنهم أكرهوا على تعلم السحر لكنهم آمنوا فتاب الله عليهم.
4. أثر الهداية الحقيقي، فرغم تعلم السحر ووقوفهم مع فرعون إلا أنهم لما رأوا الحق آمنوا.

24. ذكر إيمان سحرة فرعون واستحبابهم الآخرة على الدنيا:

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.²

قال ابن كثير: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ كَانُوا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ سَحَرَةً فَصَارُوا مِنْ آخِرِهِ شُهَدَاءَ بَرَّةً وَيُؤَيَّدُ هَٰذَا قَوْلُهُمْ ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.³

● التحليل والمناقشة:

¹ يُنظر: تفسير الزمخشري (73/3)، تفسير البيضاوي (32/4)، تفسير أبي السعود (26/6)، تفسير ابن عاشور (257/16).

² طه: 72.

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 258، وأورده السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس قال: كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء، وفي لفظ: كانوا سحرة في أول النهار، وشهداء آخر النهار حين قتلوا، ج ٦ ص ٩٧. والرواية متنها مستقيم وفي بعض أسانيدنا إرسال وانقطاع لكنها حسنة بمجموع الطرق.

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان سرعة تقلب قلوب السحرة من الكفر إلى الإيمان وما ذلك إلا بمداية الله ولولا هداية الله لم يوفقوا، بفضل الله تعالى ثبتت أقدامهم ولم يخوفهم تحديد فرعون بالقتل أو السجن، لكانوا كالجبل الصامد أمام الطاغوت الأكبر.

وصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ مستعملة في التسوية؛ لأن ما أنت قاض تصدق على ما توعدهم به من تقطيع الأيدي والأرجل والصلب، أي: سواء علينا ذلك: بعضه، أو كله، أو عدم وقوعه، فلا نطلب منك خلاصا منه جزاء طاعتك، فافعل ما أنت فاعل.

- وقوله: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ تمهيد لما بعده، وهو أيضا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الأمر بالقضاء، أي: إنما تصنع ما تهواه، أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا فحسب، وما لنا من رغبة في عذابها، ولا رهبة من عذابها.

- والقصر المستفاد من (إنما) قصر موصوف على صفة، أي: إنك مقصور على القضاء في هذه الحياة الدنيا، لا يتجاوزه إلى القضاء في الآخرة؛ فهو قصر حقيقي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

- جملة: إنا آمنا بربنا... في محل العلة لما تضمنه كلامهم.

- قوله: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ خصوا السحر بالذكر مع اندراجهم في خطاياهم؛ إظهارا لغاية نفرتهم عنه، ورغبتهم في مغفرته، وذكر الإكراه؛ للإيذان بأنه مما يجب أن يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالإكراه، وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة.

- وجملة: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ في موضع الحال، أو معترضة في آخر الكلام؛ للتذييل.

والمروية تتحدث عن إيمان سحرة فرعون واستجابتهم للحق وتقديمهم الآخرة على الدنيا رغم التهديد والوعيد من فرعون.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1- قول الله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ في هذا الكلام من السحرة دليل على أنه ينبغي للعاقل أن يوازن بين لذات الدنيا ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

2- قول الله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أظهر السحرة استخفافهم بوعد فرعون وبتعذيبه؛ إذ أصبحوا أهل إيمان ويقين، وكذلك

شأن المؤمنين بالرسول إذا أشرقت عليهم أنوار الرسالة؛ فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته، إلى حكمة الإيمان وثباته.

3- في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ بيان أن الإيمان واليقين إذا دخلا القلب لا يفتنه شيء؛ فالسحرة -جنود فرعون- كانوا في أول النهار سحرة كفر، وفي آخر النهار مؤمنين برة؛ يتحدثون فرعون؛ لما دخل في قلبهم من الإيمان.

4- الإيمان مكفر للسيئات، والتوبة تحب ما قبلها؛ قال تعالى حكاية عن سحرة فرعون: ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا﴾.

5- دعاءهم الله بهذا القوم يدل على فقههم وثقتهم بالله.

25. تعيين المؤمن من آل فرعون، ذكر اسمه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَإِنْ يَكْذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۚ وَإِنْ يَكْ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.¹

قال ابن كثير: وهذا الرجل هو ابن عم فرعون وكان يكتم إيمانه من قومه خوفاً منهم على نفسه وزعم بعض الناس أنه كان إسرائيلياً وهو بعيد ومخالف لسياق الكلام لفظاً ومعنى والله أعلم قال ابن جرير قال ابن عباس لم يؤمن من القبط موسى إلا هذا والذي جاء من أقصى المدينة وامرأة فرعون.²

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير رحمه الله هذه المروية لرد من قال إن الرجل المؤمن من بني إسرائيل وأثبت أنه كان من قوم فرعون. ومعنى الآية أن رجلاً منهم أسر إيمانه، قال لهم: أتقتلون موسى من أجل قوله: إن ربي الله، وقد أتى ببراهين واضحة، فإن كان كاذباً ضره كذبه، وإن كان صادقاً في قوله، أصابكم عذاب الله، وأظهر لقومه أنه ناصح لهم يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار.

وتحدث المروية عن الرجل الذي حذر قوم فرعون، واختلف العلماء في نسبه فبعضهم قال إنه من بني إسرائيل وبعضهم قال من القبط، وكان يذكر قومه سرا، ويخشى على نفسه.

¹ غافر: 28.

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 260.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

- 1- في قوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ مراعاة الخصم فيما يؤلفه ويقربه؛ لأنه بدأ بما كانوا يعتقدون، وهو كذب موسى عليه الصلاة والسلام، فبدأ بالكذب قبل أن يبدأ بالصدق؛ من أجل تأليفهم؛ ولم يبدأ بالصدق الذي هو أحد الاحتمالين، تلطفا في الاستكفاف، أي: طلب الكف عن موسى عليه السلام، واستنزالا عن الأذى، فلم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه.
- 2- في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾¹ إشارة إلى أن الإصرار على المعاصي، والكذب، والارتياب في الدين قد يكون سببا لسد أبواب الهداية عن العبد، بخلاف الطاعة فإنها تفتح باب الهدى؛ لأنها شكر، وقد قال تعالى: ﴿لَنْ شُكِرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾²، والنعمة قيدها شكرها، وفي كفرانها تعريض لها للزوال، وذلك إنما أوردته مؤمن آل فرعون على سبيل النصيحة لهم والتحذير، وهو من الحكم البالغة، وفيه أن من أحوال الصديقين النطق بالحكمة.
- 3- فيها الحكمة في الدعوة فالرجل كان يخفي إيمانه خوفا مما يدل ذكاء الداعية في اختيار الوقت والطريقة.
- 4- لا يشترط للأثر أن يكون الرجل من المشاهير.
- 5- تدل الرواية على أهمية نصره الحق في المواقف الحرجة.

26. تفسير ابن عباس للطوفان الذي أرسل على بني إسرائيل:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾³.

قال ابن كثير: أَمَّا الطُّوفَانُ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ كَثْرَةُ الْأَمْطَارِ الْمُتَلَفَةِ⁴ لِلزُّرُوعِ وَالْثَّمَارِ.⁵

● التحليل والمناقشة:

¹ غافر: 34.

² إبراهيم: 7.

³ الأعراف: 133.

⁴ أَفْسَدَ، أَغْطَبَ: «أَتْلَفَ سِلْعًا» || أَلْحَقَ ضَرًّا بِنَقْطِيعٍ أَوْ بِنَجْرَةٍ: «أَتْلَفَ الْبَرْدُ الذُّرَّةَ» || عَطَبَ، عَطَلُ: «أَتْلَفَ سَيَّارَتَهُ» || أَفْنَى إِسْرَافًا: «أَتْلَفَ مَالَهُ» || أَضْعَفَ وَ أَتْعَبَ تَعَبًا شَدِيدًا: «أَتْلَفَ الصِّحَّةَ» (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص151).

⁵ أورد ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 265. وأورد الطبري في تفسيره قال حدثني الثني قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: (فأرسلنا عليهم الطوفان)، وهو المطر، حتى خافوا الهلاك.

أورد ابن كثير هذه المروية لبيان أن الطوفان الذي أرسله الله عليهم يراد به كثرة الأمطار، هو هنا بالمعنى المجازي، و مجاز مرسل علاقته السببية، أن الأمطار سبب للطوفان، أريد المسبب وأراد به السبب.

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قول آخر وهو أن المراد به أمر كان من الله.¹

وللطوفان في اللغة العربية إطلاقات عدة، ن أشهرها الماء الكثير، يطلق أيضا على الحادث الذي يحيط بالناس، أن أصل مادته (طاف) ومعناه الدوران.

وروي أن المراد بالطوفان الموت كما روى بن جرير وابن مَرْذَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ يَمَانَ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ حَلِيفَةَ عَنِ الْحَجَّاجِ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِينَا عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الطُّوفَانُ الْمَوْتُ»²، قال ابن كثير: وَهُوَ غَرِيبٌ، وكأنه يشير إلى ضعف هذا الحديث.³

وقد أخبر الله في هذه الآية أنه ابتلى آل فرعون بأصناف من العذاب، هي الجذب وقلة الثمار، القحط، عليهم يرجعون إلى الدين الصحيح، أخبر أنهم إذا جاءهم الله بالنعم أعرضوا عن شكر الله، إذا أتكم مصيبة تطيروا بموسى ومن معهم، الحال أن ما أصابهم من شر لم يكن لأجل موسى، ل هي عقوبة قدرها الله عليهم.

وخلاصة المروية أن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر أن الطوفان الذي أرسل على بني إسرائيل هو كثرة الأمطار المتلفة للزروع والثمار وكان ذلك من جملة العقوبات التي أنزلها الله بقوم فرعون.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. سنة الله في الأمم أن يبتليها بالنعم؛ ليزدجروا، ويتذكروا بذلك ما كانوا فيه من النعم؛ فإن الشدة تجلب الإنابة والخشية، ورقة القلب، والرَّجُوعَ إلى طلبِ لُطْفِ اللَّهِ وإحسانه؛ يُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾⁴.

¹ أورده الطبري في تفسيره قال حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني جرير، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾. قال: "أمر [من أمر] الله؛ الطوفان. ثم قرأ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [سورة القلم: ١٩]. ج ١٠ ص ٣٨١.

² أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥ / ١٥٤٤ (٨٨٥٦) من طريق يحيى به، وسمى المبهم فيه عطاء.

³ يُنْظَرُ: معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (432/3).

⁴ يُنْظَرُ: البحر المحيط (في التفسير) لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي [ت ٧٥٤هـ كذا على غلاف المطبوع! والصواب (ت ٧٤٥هـ) كما في مصادر ترجمته] بعناية: صدقي محمد جميل العطار (ج ١ و ١٠) - زهير جميد (ج ٢ إلى ٧) - عرفان العشا حسونة (ج ٨ إلى ١٠) الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م [وأعادت نشرها لاحقاً بنفس ترقيم الصفحات] (147/5).

2. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾، في هذه الآية تنبيه للأُمَّة لِلنَّظَرِ فيما يُحِيطُ بها من دلائل غَضَبِ الله؛ فَإِنَّ سَلْبَ النِّعَةِ لِلْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ تنبيهٌ لهم على استحقاقهم إعراضِ الله تعالى عنهم.¹

3. قولُ الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائَرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التَّطَيُّرُ والتَّشَاؤُمُ من صفاتِ الكُفَّارِ، وعلى المسلمين اجتنابه، وأن يتوكلوا على الله، ولا ينبغي لهم أن يجزعوا من التَّطَيُّرِ، ولْيَعْلَمَ أَنَّ الْأُمُورَ بيدِ الله، وَأَنَّ الشُّؤْمَ الحَقِيقِيَّ الَّذِي يَسْتَجْلِبُ كُلَّ الضَّرَرِ هو مُخَالَفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ وَعَلَا، أَمَّا كُلُّ فِعْلٍ لم يُخَالَفْ به الله فهذا لا ضَرَرَ فيه ولا طَيْرَةٍ؛ لِأَنَّ الله ما أَبَاحَهُ إِلَّا لِأَنَّهُ لَا ضَرَرَ فِيهِ، وعلى المسلم أن يَتَحَرَّزَ من هذا كُلِّهِ، ولا يَتَشَاءَمَ بشيءٍ، وأن يَبْنِيَ الْأُمُورَ على التَّوَكُّلِ على الله، ومُراعَاةِ أَوَامِرِهِ ونَوَاهِيهِ.²

4. ومن فوائد المروية أن الطوفان كان عبارة عن أضرار كثيرة مدمرة مما يوضح أن العذاب الإلهي قد يكون من جنس النعم إذا زاد حده.

5. نقل تفسير ابن عباس يبرز أهمية الرجوع لأقوال الصحابة في فهم القرآن الكريم.

6. المطر نعمة لكنه يصبح نقمة إذا تجاوز وهذا يبين أن الخبر الظاهري قد ينقلب ضرراً إذا لم يقيد بحكمة.

27. ذكر الرواية الدالة على تحليل الجراد الذي هو صنف من أصناف العذاب المرسل على بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.³

قال ابن كثير: وَأَمَّا الْجَرَادُ فَمَعْرُوفٌ وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ⁴ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ عَنِ الْجَرَادِ فَقَالَ: «أَكْثَرُ جُنُودِ اللَّهِ لَا أَكُلُهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ»⁵ وَتَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكُلَهُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى

¹ يُنظر: تفسير ابن عاشور (64/9).

² يُنظر: تفسير ابن عاشور (64/9).

³ الأعراف: 133.

⁴ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ (توفي سنة 33 هـ) صحابي، ومولى النبي محمد ﷺ وأحد رواة الحديث النبوي، وهو أول الفرس إسلاماً؛ أصله من بلاد فارس، ترك أهله وبلده سعيًا وراء معرفة الدين الحق؛ فانتقل بين البلدان ليصحب الرجال الصالحين من القساوسة، إلى أن وصف له أحدهم ظهور نبي في بلاد العرب، ووصف له علامات ليتحقق منه. اتفق سلمان مع قوم من بني كلب لينقلوه إلى بلاد العرب، فغدروا به وباعوه إلى يهودي من وادي القرى، ثم اشتراه يهودي آخر من يثرب من بني قريظة، ورحل به إلى بلده.

⁵ حديث ضعيف، منقطع، فعن ابن الزبير، حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: "سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْجَرَادِ؟ فَقَالَ: (أَكْثَرُ جُنُودِ اللَّهِ، لَا أَكُلُهُ، وَلَا أُحَرِّمُهُ).

وَجِهَ التَّقْدِيرُ¹ لَهُ كَمَا تَرَكَ أَكْلَ الضَّبِّ وَتَنَزَّهَ عَنْ أَكْلِ البَصْلِ والثُّومِ وَالْكُرَاثِ لِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْ فِي قَالَ عَزَّوَنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الْجُرَادَ.²

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير هذا الحديث لبيان أن الجراد في الآية هو الذي تنزه عن أكله الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يجرمه، قد أقر أكله، حله ثابت بالسنة التقريرية، الجراد صنف من أصناف العذاب سلطه الله على آل فرعون لتأكل زروعهم وثمارهم التي هي سبب حياتهم ومعاشهم، قوله عليه السلام «أكثر جنود الله» إشارة إلى هذه الآية، أن الله جنودا لا يعلمها إلا هو، كل شيء نصر الله به دينه، هو من جنده.³

والرواية تشرح نوعا خاصا من الجراد استخدمه الله كعقوبة لقوم طغوا وكذبوا وتبين أن حتى الحشرات قد تكون وسيلة إلهية للعقاب وفيها دلالة على عظمة الله وقدرته في تسخير مخلوقاته لأداء حكمته.

واختلفوا في المدة التي قضاه موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون فقبل

إن موسى عليه السلام مكث بعد هلاك فرعون أربعين سنة⁵ ذكر الإمام القرطبي عن سماك الشامي⁴

وقال منجانب: بل عشرين سنة.

رواه أبو داود (3813)، وقال: "رَوَاهُ الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَذْكُرْ سَلْمَانَ".

ورواه أبو داود أيضا (3814)، وابن ماجه (3219) موصولا أيضا، من رواية زكريَّا بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي الْعَوَّامِ الْجُرَّارِ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ التَّهْدِيدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ، فَقَالَ، وَمِثْلُهُ".

وقال أبو داود: "رَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي الْعَوَّامِ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَذْكُرْ سَلْمَانَ".

قال الشيخ الألباني رحمه الله: "وأبو العوام هذا: اسمه فائد بن كيسان، ليس بالمشهور، قال الذهبي: " ما علمت فيه جرحا، بل وثقه ابن حبان". وجملة القول: أن هذا الحديث اختلف في وصله وإرساله على أبي عثمان، فأرسله سليمان التيمي عنه، في رواية ثقتين عنه، هما: الأنصاري والمعتمر بن سليمان.

وخالفهما محمد بن الزبرقان فرواه عنه موصولا.

ومما لا ريب فيه أن روايته مرجوحة، لأنه فرد، ولا سيما وقد قيل فيه: إنه قد يخطئ.

فيتحصل من ذلك: أن المحفوظ عن سليمان التيمي مرسل، وخالف التيمي أبو العوام فوصله، وروايته مرجوحة أيضا، لأنه غير مشهور كما ذكرنا، فلا يقرن مع التيمي ليفاضل بينهما! والخلاصة: أن الحديث ضعيف لإرساله، والله أعلم " انتهى من "السلسلة الضعيفة" (4 / 43).

¹ كرهه لوسخه (أقرب الموارد , ج 4 , ص 292).

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 265.

³ يُنْظَرُ: تفسير ابن كثير (461/3)، تفسير السعدي (ص: 301)، تفسير ابن عاشور (69/9)، الْعُدْبُ التَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنَقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ

لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ) المحقق: خالد بن عثمان السبت الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) -

دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم) (114/4).

4

⁵ القرطبي ج ٧ ص ٢٤١.

وأما لفظ الطوفان فاختلف فيه أهل اللغة هل هو مصدر لا جمع له، أم هو اسم جنس جمعي، ذهب الأخفش¹ أنه جمع طوفانة، اسم الجنس الجمعي كذلك، كان في مفردة تاء وحذفت منه عند الجمع كالتمر جمع تمرة، قيل هو مصدر لا يجمع.²

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يترك أكل بعض الأشياء على وجه التقذر لا على أنها حرام.
2. فيه أن الشيء إذا استعمل خلاف أعداء الله وصف بكونه جندا من جنود الله.
3. تأكيد على صدق الرسل، لأن إرسال هذه هذه الآيات كان حجة على القوم ليؤمنوا ولكنهم استكبروا فاستحقوا العذاب.

28. بيان معنى القمل:

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾³.

عن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الحنطة⁴ وعنه انه الجراد الصغار الذي لا أجنحة له⁵، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة، وقال سعيد بن جبيرة والحسن هو دواب سود صغار وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هي البراغيث وحكى ابن جرير عن أهل العربية أنها الحمنان⁶ وهو صغار القردان.⁷

● التحليل والمناقشة:

¹ الأخفش الأوسط (- 215 هـ / 830 م) إمام النحو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري مولى بني مجاشع أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حتى برع وكان من أسنان سيبويه بل أكبر. قال أبو حاتم السجستاني كان الأخفش قدريا.

² المصدر السابق.

³ الأعراف: 133.

⁴ أورده ابن جرير الطبري في التفسير قال حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن يعقوب القتيبي، عن جعفر، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة.

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٤٧ / ٥ (٨٨٧١) من طريق جرير به، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣ / ١١٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر. ⁵ أورده الطبري في تفسيره قال حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: القمل الدبى. ج ١٠ ص ٣٨٣.

⁶ صغار القردان (المحيط في اللغة ، ج 3 ، ص 128).

⁷ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 265.

أورد ابن كثير -رحمه الله- عدة أقوال للمفسرين في بيان معنى القمل، في هذه الآية ذكر الله عدة أصناف العذاب التي أرسلها على بني إسرائيل ولكنهم استكبروا وكانوا مجرمين.

وفي الآية المذكورة يخبر الله تعالى أنه ابتلى آل فرعون بالجذب والقحط وقلة الثمار؛ لعلهم يذكرون، وأخبر أنهم إذا جاءهم الخصب والرزق قالوا: هذه النعم الكثيرة لنا، ولم يشكروا الله عليها، وإذا جاءهم الجذب والقحط تشاءموا بموسى ومن معه من المؤمنين، إلا أن ما أصابهم من شر هو مقدر عليهم عقوبة لهم، وليس من عند موسى والمؤمنين معه، ولكن أكثرهم لا يعلمون.

وقال آل فرعون لموسى: مهما تأتينا بمعجزة لتصرفنا بها عن ديننا، فلن نؤمن لك.

فأرسل الله عليهم الماء الكثير الذي أغرق بيوتهم ومزارعهم، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات واضحة تدل على صحة نبوة موسى عليه السلام، وفصل كل عقوبة عن الأخرى؛ فكان بعضها يأتي في إثر بعض، فاستكبروا، وكانوا قوماً مجرمين.

وفي هذه المروية أقوال مختلفة في معنى القمل فمنهم من قال إنه نوع الحشرات الصغيرة ويقول سعيد بن جبير إنه دواب سود صغار وعن أهل اللغة أنه صغار القردان.

● ما يستفاد من المروية:

1. قول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ۚ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾، ذكر أولاً: الطوفان، ولما كان ذلك ربما أخصبت به الأرض أخبر أنه أرسل ما يفسد ذلك، فقال: والجراد، ولما كان الجراد ربما طار، وقد أبقى شيئاً أخبر بما يستمر لازقاً في الأرض حتى لا يدع بها شيئاً، فقال: والقمل، ولما كان عندهم شيء مخزون لم يصل إليه ذلك، أخبر بما يسقط نفسه في الأكل؛ فيفسده أو ينقصه، فقال: والضفادع، ولما تم ما يضر بالمأكل أتبعه ما أفسد المشرب، فقال: والدم.¹
2. شرح الأقوال في تفسير القمل تظهر عمق تدبر الصحابة والتابعين للقرآن وأنهم اعتمدوا على اللغة والواقع.
3. الإعجاز في العقوبة استعمال أدوات بسيطة ومألوفة كأداة للعذاب يظهر قدرة الله وحكمته.

¹ ينظر: نظم الدرر للبقاعي (41/8).

29. الدم الذي أرسله الله على آل فرعون هو الرعاف:

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾¹.

قال ابن كثير: وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ الْمُرَادُ بِالْدَّمِ الرَّعَافُ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ².

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير هذه المروية لبيان معنى الدم الوارد في الآية، قد أرسله الله عليهم ليصر كل ما يشربونه دماً³. ومعنى الآية أن الله سلط عليهم صنوفاً من العذاب ومنها الدم، يدل ذلك على كذبهم وظلمهم، أن الله لا يرسل العذاب إلا على الظالمين الكاذبين، ليظهر به صدق رسالة موسى عليه السلام، كانوا في سابق أمرهم مجرمين. وقوله: مُفَصَّلَاتٍ، عني واضحات لا مجال للريب فيها، نحا من آيات الله، ليست من السحر كما زعموا. وقال بعضهم: بعضها منفصل عن بعض في الزمن، تختبر حالهم.

وكان بين كل اثنين منها شهر، وكان امتداد كل واحدة منها شهراً، كما أخرج ذلك ابن المنذر عن ابن عباس: ثم وضحت الآية في نهايتها موقفهم من هذا الابتلاء وتلك العقوبات، فقالت: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ أي: فاستكبروا عن الإيمان بموسى عليه السلام وعما جاء به من معجزات، وكانوا قوماً طبعتهم الاجرام ودينهم الكفر والفسوق.

● ما يستفاد من المروية

1. قدرة الله على تسليط أنواع العذاب على من يعاند الحق.
2. أن بعض الناس لا يؤمنون مهما ظهرت لهم الآيات.
3. تكرار العذاب يدل على تنبيه مستمر لهم قبل وقوع العذاب الأكبر.

¹ الأعراف: 133.

² أورده الطبري في تفسيره ٣٩٧/١٠ قال حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أحمد بن خالد، قال: ثنا يحيى بن أبي بكير، قال: ثنا زهير، قال: قال زيد بن أسلم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الخنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ / ١٥٤٩ (١٨٨٣) من طريق أحمد بن خالد به.

³ يُنظر: تفسير البغوي (225/2)، تفسير السعدي (ص: 301)، تفسير ابن عاشور (70/9)، العذب النمير للشنقيطي (121/4). وهذا قول الجمهور كما قال ابن الجوزي: (وفي الدَّم قولان؛ أحدهما: أنَّ ماءهم صار دماً، قاله الجمهور. والثاني: أنَّه رُعافٌ أصابهم، قاله زيد بن أسلم). زاد المسير (148/2). ويُنظر: تفسير السعدي (ص: 301).

30. بيان معنى (مقترنين) في الآية:

قال تعالى ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾¹.

قال ابن كثير: قوله: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ لا يحتاج الأمر الى ذلك إن كان المراد أن تعظمه الملائكة فالملائكة يعظمون ويتواضعون لمن هو دون موسى بكثير كما جاء في الحديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع² فكيف يكون تواضعهم وتعظيمهم لموسى الكليم عليه الصلاة والتسليم والتكريم وإن كان المراد شهادتهم له بالرسالة فقد أيد من المعجزات بما يدل قطعاً لذوي الأبواب ولمن قصد الى الحق والصواب ويعمى عما جاء به من البينات والحجج الواضحات من نظر الى القشور³ وترك لب اللباب وطبع على قلبه رب الأرباب وختم عليه بما فيه من الشك والارتباب كما هو حال فرعون القبطي العمى الكذاب قال الله تعالى ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ أي: استخف عقولهم ودرجهم من حال الى حال الى أن صدقوه في دعواه الربوبية لعنه الله وقيحهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾⁴.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية أثناء الكلام على الاحتمال الذي في قول فرعون ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ إن كان يراد به أنه يريد إتيان الملائكة مع موسى عليه السلام لتعظمه فهذا لا حاجة إليه، أن الملائكة تقوم بتعظيم من هو أدنى مرتبة من موسى عليه السلام وهو أن الملائكة تعظم طالب العلم أيضاً، إن كان المراد باقتران الملائكة تأييدا لنبوته فهذا أيضاً لا ينفع، أن الله أيدته بالمعجزات التي ظهرت للناس جميعاً في وقته. ومعنى الآية أن الكفار قالوا عنه عليه السلام باستهزاء لماذا لم يعط أساور من ذهب ليكون علامة على عظمته، أو لماذا لم تأت معه الملائكة مجتمعين لدعمه.

والحديث يدل على عظم فضل طلب العلم وأن الملائكة تتواضع لطالب العلم وتحب ما يقوم به.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. فيها أن أهل الباطل يحتالون بحيل متعددة لدفع الحق، أنه لو أعطوا كل ما طلبوا لما آمنوا لأن الله طبع على قلوبهم.

2. وفيها أن الملائكة تعظم طالب العلم رضا بما يطلب، اصة أهل الدعاة منهم.

¹ الزخرف: 53.

² رواه الإمام أحمد في مسنده ج 5 ص 1960.

³ التآفه من الكلام (المنجد في اللغة العربية المعاصرة , ص1154).

⁴ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 267.

المبحث الثاني

الروايات التفسيرية التي وردت في هلاك فرعون وجنوده

1. عدد الذين آمنوا بموسى من قوم فرعون:

قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.¹

قال ابن كثير: قيل ثلاثة وهم امرأة فرعون ولا علم لأهل الكتاب بحبرها ومؤمن آل فرعون الذي تقدم حكاية مؤعطته ومشورته وحجته عليهم والرجل الناصح الذي جاء يسعى من أقصى المدينة فقال يا موسى إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين قاله ابن عباس فيما رواه ابن أبي حاتم عنه ومراؤه غير السحرة فإنهم كانوا من القبط وقيل بل آمن طائفة من القبط من قوم فرعون والسحرة كلهم وجميع شعب بني إسرائيل، ويدل على هذا قوله تعالى ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ فالضمير في قوله إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عائِد على فرعون لأن السياق يدل عليه.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير - رحمه الله - قول ابن عباس إن عدد الذين آمنوا من قوم فرعون ثلاثة، امرأة فرعون، الرجل الناصح، مؤمن آل فرعون، ير السحرة فإنهم أيضا من القبط، م ذكر ابن كثير أن حصر عدد المؤمنين من آل فرعون في ثلاثة غير صحيح، أن الله قال ﴿إلا ذرية من قوم﴾ ورجح أن الضمير في (قومه) يرجع إلى فرعون، إن كان هناك قول آخر وهو أن الضمير يرجع إلى موسى.

ومعنى الذرية الأولاد، هذا اسم يطلق على الذكر والأنثى من نسل الإنسان، أصله من ذرأ بمعنى خلق، و من الذر بمعنى التفريق، أن الله فرقهم في الأرض.⁴

¹ يونس: 83.

² بمنزلة الأعلى (لسان اللسان ، ج 2 ، ص 221).

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 268.

⁴ يُنظر: غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لمحمد بن غزير السجستاني، أبو بكر الغزيري (المتوفى: ٣٣٠هـ). المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران الناشر: دار قتيبة - سوريا الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م (ص: 230)، ((المفردات)) للراغب (ص: 327)، النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي (157/2، 394)، التبيان في تفسير غريب القرآن أحمد بن

وقوله: يفتنهم، أي يعذبهم، الفتنة لها عدة استعمالات في كتاب الله، منها الامتحان والابتلاء، وكان فرعون يسوم من يخالف أمره بأنواع من العقوبات.¹

وقد أخبر الله في هذه الآية، أن عددا يسيرا من آل فرعون آمنوا بموسى عليه السلام، هم خائفون من فرعون أن يعذبهم إذا علم بإيمانهم، إن فرعون مستكبر في الأرض، تجاوز حدود الله، طاغيا في الكفر والفساد.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1- قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ الْحِكْمَةُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ كَوْنِهِ مَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ: أَنَّ الذَّرِيَّةَ وَالشَّبَابَ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ، وَأَسْرَعُ لَهُ انْقِيَادًا، بِخِلَافِ الشُّيُوخِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ تَرَى عَلَى الْكُفْرِ؛ فَإِنَّهُمْ - بِسَبَبِ مَا مَكَّتْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ - أَبْعَدُ مِنَ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِهِمْ.²

2- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ دَلَالَةُ الْإِيمَانِ وَمُقْتَضَاهُ، وَعُنْصُرُ الْقُوَّةِ الَّذِي يُضَافُ إِلَى رَصِيدِ الْقَلَّةِ الضَّعِيفَةِ أَمَامَ الْجَبَرُوتِ الطَّاغِي، فَإِذَا هِيَ أَقْوَى وَأَثْبَتُ، وَقَدْ ذَكَرَ لَهُمُ مُوسَى الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ، وَجَعَلَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ مُقْتَضَى هَذَا وَذَلِكَ؛ مُقْتَضَى الْإِعْتِقَادِ فِي اللَّهِ، وَمُقْتَضَى إِسْلَامِ النَّفْسِ لَهُ خَالِصَةً، وَالْعَمَلِ بِمَا يَرِيدُ، وَاسْتِجَابِ الْمُؤْمِنُونَ لِهَثَافِ الْإِيمَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ: فَقَالُوا: عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا.³

3- قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فِي تَقْدِيمِ التَّوَكُّلِ عَلَى الدُّعَاءِ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّ الدَّاعِيَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَكَّلَ أَوَّلًا؛ لِشَجَابِ دَعْوَتِهِ.⁴

محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت ٨١٥ هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ (ص: 92).

¹ يُنظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: 198)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) تحقيق: طارق فتحي السيد الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م (ص: 156).

² يُنظر: تفسير السعدي (ص: 371).

³ يُنظر: طريق المهجرتين وباب السعادتين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) الناشر: الدار السلفية، القاهرة، مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ (ص: 255).

⁴ يُنظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧ هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ (33/2).

2. الصلاة تخفف الحزن، تكشف الغم:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹.

قال ابن كثير: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ² أَمَرَ صَلَّى³.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان معنى قوله (قِبْلَةً) وأنها أمروا بالصلاة في بيوتكم حتى تنزل فيها رحمة الله، يخفف الله في مصيبتهم، ينجيهم من ظلم فرعون وتعذيبه.

أورد ابن كثير قبل ذلك أقوال المفسرين في معنى (قِبْلَةً) فقال: قِيلَ مَسَاجِدَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ فِيهَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَأَبُو مَالِكٍ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَالرَّبِيعُ وَالضَّحَّاكُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَغَيْرُهُمْ.

ورجح القول بأن المراد به الصلاة أو إقامتها في البيوت، لا تعارض بين هذا القول وبين من قال يراد بها المساجد، أن جعل البيوت مساجد معناه الصلاة فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه تنويع الخطاب، حيث ثلثي أولاً، ثم جمع، ثم وَحَّدَ آخِراً؛ فحُوطِبَ موسى وهارونُ عليهما السلامُ أَنْ يَتَبَوَّءَا لِقَوْمَهُمَا بُيُوتًا، وَيَخْتَارَاهَا لِلْعِبَادَةِ، وذلك مِمَّا يَفُوضُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ سَيَقُ الْخَطَابُ عَامًّا لهما وَلِقَوْمَهُمَا بِاتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْجُمْهُورِ، ثُمَّ خُصَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبِشَارَةِ الَّتِي هِيَ الْغَرَضُ؛ تَعْظِيمًا لَهَا وَلِلْمُبَشِّرِ بِهَا.⁴

وذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن وراء مشروعية الصلاة في بيوتهم سببا وهو طلبهم من موسى أنهم لا يستطيعون تطهير صلاتهم إذا صلوا في المساجد مع الفراعنة، أمروا أن يصلوا في البيوت.⁵

¹ يونس: 87.

² -حَزَبًا: صار جَدْبًا: «حَزَبَ الْأَمْرُ» | | تَعَرَّضَ لِ. يقال: «حَزَبَهُ حَازِبٌ»: تَعَرَّضَ لِحَادِثٍ مُؤْسِفٍ (المنجد في اللغة العربية المعاصرة , ص279)

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 269 أخرجه أبو داود (1319) من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (1319) وأخرجه أحمد ٣٨٨/٥ من طرق عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله عن عبد العزيز عن حذيفة رضي الله عنه وهذا إسناد ضعيف، محمد بن عبادة مجهول لم يرو عنه سوى عكرمة بن عمار ولم يوثقه أحد وللك ذكره الذهبي في الميزان، ثم إن الحديث اختلف فيه على عكرمة، ولكن للحديث شاهد عند الطبراني في الأوسط رقم (٨٩٠) من حديث عبد الله بن سلام قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة، ثم قرأ وأمر أهلك بالصلاة..فارتقى الحديث إلى درجة الحسن.

⁴ يُنْظَرُ: تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ (364/2)، تَفْسِيرُ أَبِي حَيَّانٍ (97/6).

⁵ ابن كثير 290/4.

ويرى قتادة وآخرون من المفسرين أنهم لما خافوا أن يقتلهم فرعون في الكنائس أمروا أن يصلوا في بيوتهم سرا.¹

واضطرب المفسرون في المراد من هذه البيوت، وذكروا روايات، فقال بعضهم: أريد بها بيوت العبادة، أي: مساجد يصلون فيها، هذا بعيد لأن الله علم أن بني إسرائيل مفارقون مصر قريبا بإذنه.

وقيل: المراد بها بيوت السكنى، هذا القول هو المناسب لدلالة لفظ النبوء عليه.

في قوله تعالى: ﴿وَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أربعة أقوال للمفسرين:

الأول: أي اجعلوها مساجد تصلون فيها قاله الضحاك.

الثاني: أي اجعلوا مساجدكم قبل الكعبة قال ابن عباس.

الثالث: اجعلوا بيوتكم التي بالشام قبله لكم في الصلاة قاله ابن بحر.²

الرابع: اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا قاله سعيد بن جبير.³

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. فيها وجوب اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد.⁴
2. الصلاة ملجأ في أوقات الشدة حيث أوحى إلى موسى أن يأمر قومه بالصلاة في وقت الأزمات.
3. دور القيادة في توجيه الناس للعبادة كما أن موسى عليه السلام وجه قومه للصلاة مما يدل على أن القادة والدعاة عليهم توجيه الناس للرجوع إلى الله عند الأزمات.

3. معنى طمس أموال آل فرعون في دعاء موسى عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ۚ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.⁵

¹ نفس المصدر.

² أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (322/254 قمرى) هو من مفسري القرن الرابع المعتزلة، كان كاتباً، نحويًا، أدبيًا، متكلمًا، مفسرًا، ومن رجال الدولة العباسية لم تتواجد معلومات كثيرة عن حياته خاصة النصف الأول من عمره.

³ تفسير الماوردي = النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 2/179.

⁴ في ظلال القرآن: 4/178.

⁵ يونس: 88.

قال ابن كثير: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ أَيُّ أَهْلِكُهَا.¹

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان معنى الطمس في الآية، أنه الإهلاك، قد أخبر سبحانه في هذه الآية أن موسى -عليه السلام- لما يؤسس من إيمان فرعون وملأه دعا عليهم أن ينزع الله أموالهم لأنها السبب القوي لإضلال الناس، بها يستعينون على صد الناس عن الدين القويم، أن يشدد الله على قلوبهم أن يطبع عليها بكفرهم.

وبمثل قول ابن عباس قال مجاهد.²

وهناك أقوال أخرى في معنى الطمس على الأموال أوردتها الطبري في تفسيره مسندة وأنا أذكرها مع بيان الراجح منها:

١. أن معناه هو تحول أموالهم حجارة، وهو قول قتادة³، سفيان⁴، أبي صالح.⁵

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ الدُّعَاءِ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمَةِ فِي الدُّنْيَا، وكان اللائق أن يكون ذلك سبباً للإيمان به ولشكر نِعَمِهِ، فجعلوا ذلك سبباً لِحُجُودِهِ وَلِكُفْرِ نِعَمِهِ⁶

2. قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ دليل على أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَنْ يَشَاءُ، ولولا ذلك ما حُسِّنَ مِنْ مُوسَى هَذَا السُّؤَالُ.

¹ أورد ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 269، وأورد ابن جرير في تفسيره ٢٦٥/١٢ قال: حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس.

² أورد الطبري في تفسيره ٢٦٦/١٢ حَدَّثَنِي زَكْرِيَا بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: ثَنَا حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾، قَالَ: أَهْلِكُهَا.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ، قَالَ: ثَنَا شَبْلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ وَرْقَاءَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

³ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٩٧٩/٦ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ بِهِ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْتَوَر ٣/٣١٥ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ وَأَبِي الشَّيْخِ.

⁴ حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، قَالَ: ثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عَقْبَةَ، قَالَ: ثَنَا سَفِيَانٌ.

⁵ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثَنَا يَحْيَى الْحِمَايُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾. قَالَ: صَارَتْ حَجَارَةً.

⁶ يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (99/6).

3. قال الله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ جعل رؤية العذاب نهايةً وغايةً، وذلك لعلمه من قبل الله أن الذي يؤمن عند رؤية العذاب لا ينفعه إيمانه في ذلك الوقت، ولا يُخرجُه من كفره، ثم أجاب الله هذه الدعوة في فرعون نفسه.

4. في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ دلالة على أن فرعون مات كافرًا؛ لأن الله استجاب دعوة موسى وهارون أن فرعون وماله لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.¹

4. بيان معنى (رهوا) وصفا للبحر الذي غرق فيه فرعون:

قال تعالى: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا ۖ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِقُونَ﴾.²

قال ابن كثير: فقله تعالى ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ أي سأكنا على هيئته لا تُعَيَّرُهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ، قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لكشف معنى كلمة غريبة (رهوا) في الآية الكريمة، ذكر فيه قول ابن عباس رضي الله عنهما كعادته، أنه كان مهتما بغريب القرآن في زمنه، ما سألَه نافع الخارجي عن غريب كثير من الآيات، أجاب بكل قوة، استشهدا في ذلك بأشعار العرب.

وهناك قول ثان أن معناه اتركه يبسا، هو قول عكرمة⁴، ومجاهد⁵ وقتادة⁶.

¹ يُنظر: جامع الرسائل لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: د. محمد رشاد سالم الناشر: دار العطاء - الرياض الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (208/1).

² الدخان: 24.

³ أورد ابن كثير في البداية والنهاية ج 2 ص 272، وأورده الطبري في تفسيره ٣٦/٢١ قال حدثني محمد بن سعيد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس. عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٩، ٣٠ إلى المصنف، بلفظ: "دمثا". وكلاهما بمعنى. وأبو محمد بن سعد مختلف فيه وفي هذا السند مجاهيل لكنه يصلح للعمل في باب التفسير.

⁴ أورد الطبري في تفسيره ٣٧/٢١ حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنى عبيد الله بن معاذ، قال: ثنى أبي، عن شعبة، عن سماك، عن عكرمة

⁵ أورد الطبري في تفسيره قال حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿رَهَوًا﴾، قال: طريقًا يَبَسًا.

⁶ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة.

وقوله (رهو) أي: ساكنًا مُنْفَرَجًا، وأصل (رهو): يَدُلُّ على سُكُونٍ.¹

ومعنى الآية: يقول تعالى مبيِّنًا جانبًا من قصَّة موسى عليه السَّلام مع فرعون: ولقد اختبرنا قَبْلَ كُفَّارِ قَوْمِكَ - يا مُحَمَّدُ - قومَ فرعونَ، وجاءهم موسى عليه الصَّلاة والسَّلام بأنَّ أَطْلَقُوا بني إسرائيلَ مِنَ العذابِ، واتَّركوهم لي، إِنِّي رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، آمِينَ في رسالتي، وَأَلَّا تَسْتَكْبِرُوا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْكَفَرَانِ وَالْعِصْيَانِ، إِنِّي آتِيكُمْ بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ، وَإِنِّي اعْتَصَمْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ أَنْ تَصِلُوا إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاتَّركوني وشأني. فَلَمَّا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ، وَأَصْرُوا عَلَى أَذَاهُ وَعَدِمَ مُتَارِكَتِهِ؛ دَعَا رَبَّهُ بِأَنْ هُوَ لَاءَ قَوْمٍ مُجْرِمُونَ، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْرِ بِعِبَادِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا؛ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ سَيَتَّبِعُونَكَ، وَاتَّركَ الْبَحْرَ عَلَى هَيْئَتِهِ سَاكِئًا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَتْهُ بِعَصَاكَ، إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مُغْرَقُونَ فِيهِ!

وخلاصة المروية أن الآية تشير إلى حال البحر بعد نجاة بني إسرائيل وهلاك فرعون حيث يقول الله (واترك البحر رهو) أي دعه كما هو ساكنًا على حاله لا تغييره، وفسر ابن عباس رهو أي ساكنًا لا يتحرك.

● ما يستفاد من المروية

1. عظمة معجزة موسى عليه السلام حيث انشق البحر وساروا فيه بأمان، ثم عاد كما هو فأغرق فرعون.

2. قدرة الله على تدبير الأمور بدقة وترك البحر ساكنًا كان لأجل حكمة في إتمام الهلاك لفرعون.

3. تفسير رهو وهذا يفيد الدقة في فهم ألفاظ القرآن .

4. تأكيد هلاك الطغاة كفرعون رغم سلطانه لم يسطع النجاة من عذاب الله.

5. أجاب الله دعوة موسى على فرعون، ولم يؤمن حتى رأى العذاب:

قال تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.²

قال ابن كثير: وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ

¹ يُنظر: غريب القرآن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م (ص: 402)، غريب القرآن للسجستاني (ص: 241)، مقاييس اللغة لابن فارس (446/2)، المفردات للراغب (ص: 368).

² يونس: 88.

آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالَ قَالَ لِي جِبْرِيلُ لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَدَسَسْتُهُ¹ فِي فِيهِ مَخَافَةً أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ.²

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لإثبات استجابة الله لموسى حيث دعا على فرعون بالطبع على قلبه، لا يوفق للإيمان حتى يرى العذاب الأليم.

وقد أشكلت الآية على بعض الناس فقال: كيف جاز له الدعاء عليهم والنبي ليس ذلك شأنه، نقول في الجواب: إنه عليه السلام أخبر بالوحي أنهم لا يؤمنون، دعا عليهم بإذن الله وذلك جائز، يدل عليه قوله عليه السلام لنوح: إنه لن يؤمن من قومك إلا من آمن.³

والحديث الذي ورد في دس جبريل الطين في فم فرعون حديث ثابت، أخرجه الترمذي⁴، وأحمد⁵، من حديث ابن عباس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا أَعْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخِذٌ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةً أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ».

والحديث صححه الشيخ الألباني.⁶

وفي تخریج المسند: أن الصحيح وقفه على ابن عباس⁷، وكأنه أشبه.

أما يذكره بعض الناس من صحة ما يذكر من أن الله قال لجبريل حينئذ: "يا جبريل: وعزتي وجلالي لو استغاثني واستغفرتني لغفرت له".

¹ ادخله فيه و دفنه تحته و اخفاه (أقرب الموارد , ج 2 , ص 201).

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 273.

³ القرطبي 8/282.

⁴ الجامع الكبير (سنن الترمذي) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م (3107).

⁵ مسند الإمام أحمد بن حنبل الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] - عادل مرشد - وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة (2144).

⁶ في "السلسلة الصحيحة" (2015).

⁷ رواه الطبراني في الأوسط برقم (٥٨٢٣) وفي سننه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وضعفه جماعة والصحيح وقفه على ابن عباس رضي الله عنهما.

فهذا لا يصح، ولم يرد بإسناد أصلا، وإنما ذكره السيوطي¹ فقال: "وقيل: إن فرعون لما عاين العذاب أراد الإيمان في حال الغرق، فرفع جبريل الطين وجعله في فيه، حتى استغاث بجبريل سبعين مرة، فلم يُعِثْه، فعاتبه الله، وقال لجبريل: استغاث بك فرعون سبعين مرة فلم تغثه، وعزّي وجلالي لو استغاث بي لأعثته". اهـ وما دام ليس له إسناد: فإنه لا حجة فيه، ولا عبرة به.

ثم إنه منكر من حيث المعنى، فإن فرعون آمن حيث لا ينفع الإيمان، فإن الله تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.²

ومثل هذا الإيمان لا ينفع صاحبه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.³ ولما قال فرعون ذلك قال الله: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.⁴

فقد يتبين أن غرقه لا علاقته له بموسى -عليه السلام-، ولا جبريل عليه السلام، بل لكونه مات كافرا، ولم يؤمن الإيمان النافع.

● ما يستفاد من المروية

1. الإيمان عند الغرق لا يقبل لأنه ليس ناتجا عن يقين.
2. تحقق دعوة موسى عليه السلام حيث استجاب دعوته بإهلاك فرعون.
3. سنة الله في الكافرين لا يهتملون إلى أن يعاينوا العذاب ثم يقبل منهم التوبة.
4. التذكير بأن التوبة تقبل ما دام الإنسان في حال الاختيار لا عند الغرغرة.

6. بيان سبب إنجاء الله فرعون ببدنه:

قال تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.⁵

¹ معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (369/2).

² يونس/90.

³ غافر/ 84 ، 85.

⁴ يونس/91 .

⁵ [يونس: 92]

قال ابن كثير: قال ابن عباس وغير واحد شك بعض بني إسرائيل في موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت فأمر الله البحر فرفعه على مرتفع، وقيل على وجه الماء، وقيل على نجوة من الأرض وعليه درعه التي يعرفونها من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه ويعلموا قدرة الله عليه.¹

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان سبب إنجاء الله فرعون ببدنه وأن شك بني إسرائيل في موته أفضى إلى ذلك.

وبمثل قول ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن جريج.²

فإن قال قائل: وما وجه قوله: ﴿بِبدنك﴾؟ وهل كان يجوز أن ينجيه بغير بدنه، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه: ﴿بِبدنك﴾؟

قيل: كان جائزاً أن ينجيه بهيئته حياً كما دخل البحر، فلما كان جائزاً ذلك، قيل: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾، ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح، ولكن ميتاً.³

وقوله: ﴿لتكون لمن خلفك آية﴾ أي: لتكون لبني إسرائيل دليلاً على موتك وهلاكك، وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده، وأنه لا يقوم لغضبه شيء⁴، وكذلك كان، فقد رأى بنو إسرائيل فرعون ميتاً رأي العين، فكان آية لمن رآه حينها، وكان آية لكل من سمع بقصة هلاكه ممن بعدهم !!

وليس في الآية ما يدل على أن بدنه سيقى محفوظاً إلى يوم القيامة، كما يتوهم بعض الناس، فإن ذلك من تحميل القرآن ما لا يحتمل، إذ لو كان المقصود بقاء جسد فرعون آية لجميع الناس بعده، يروونه ميتاً ويعاينون جثته، لبقيت جثته معروفة ظاهرة لكل من خلفه، ممن سمع بقصته، حتى تتم العبرة، وتظهر الآية، ويصدق الوعد؛ فأين ذهب قصته عن الناس، حتى عفا أثرها، وزال ذكرها قروناً متطاوله، قبل أن يدعي أهل الآثار أنهم اكتشفوا جثة فرعون الذي مات غرقاً؟!!

يقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ومعنى قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ أي: لتكون لبني إسرائيل دليلاً على موتك وهلاكك، وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده، لا يقدر أحد على التخلص من عقوبته، ولو كان ذا سلطة ومكانة بين الناس.

¹ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 273.

² أورده الطبري في تفسيره ٢٨٢/١٢ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الحسين، قَالَ: ثني حجاج، عن ابن جريج.

³ المصدر السابق.

⁴ تفسير ابن كثير (565/2). بتصرف.

ولا يلزم من هذا أن تبقى جثة فرعون إلى هذا الزمان، كما يظنُّه الجُهَّال؛ لأن الغرض من إظهار بدنه من البحر معرفته هلاكه وتحقق ذلك لمن شكَّ فيه من بني إسرائيل، وهذا الغرض قد انتهى، وجسم فرعون كغيره من الأجسام، يأتي عليه الفناء، ولا يبقى منه إلا ما يبقى من غيره، وهو عَجَب الذَّنْب، الذي منه يُرَكَّبُ خلق الإنسان يوم القيامة؛ كما في الحديث؛ فليس لجسم فرعون ميزة على غيره من الأجسام، والله أعلم.¹

ولكن يقال هنا: إن حصل وظهرت جثة فرعون من جديد، وثبت بكلام أهل الخبرة بالتاريخ والآثار أنها الجثة التي ذكر الله في كتابه، فإنما يكون ذلك إشارة إلى صدق ما أخبر به القرآن من نجاته بدن فرعون.

يقول العلامة الطاهر ابن عاشور -رحمه الله-: "ومن دقائق القرآن قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾، وهي عبارة لم يأت مثلها فيما كتب من أخبار فرعون؛ وإنها لمن الإعجاز العلمي في القرآن، إذ كانت الآية منطبقة على الواقع التاريخي".²

والخلاصة: أن بدن فرعون نجا يومها من الضياع أو التحلل، ولا يعني ذلك لزوم بقائه محفوظا إلى يوم القيامة، فمن ثبت عنده من أهل العلم بالآثار والتاريخ أن بدن فرعون ما زال محفوظا اليوم، وهو الذي يُعرض في بعض المتاحف، فلا يجوز أن يدَّعي أن هذا الحفظ إنما هو معجزة من الله للناس جميعا، وإنما هو فقط تصديق تاريخي جاء موافقة لما في القرآن الكريم، وذلك هو الإعجاز.

● ما يستفاد من المروية:

1. قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ في تعليل تنجيته بما دُكر إيداناً بأنها ليست لإعزازه أو لفائدة أخرى عائدة إليه، بل لِكَمَالِ الاستهانة به، وتفضيحه على رؤوس الأشهاد، وزيادة تفضيع حاله؛ كمن يُقتل ثم يُجر جسده في الأسواق، أو يُدار برأسه في البلاد.³
2. في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ ردُّ على من زعم إيمان فرعون؛ لأنَّ الله تعالى جعله عبرةً وعلامةً لمن يكون بعده من الأمم؛ لينظروا عاقبة من كفر بالله تعالى؛ ولهذا ذكر الله تعالى الاعتبار بقصة فرعون وقومه في غير موضع.⁴
3. في المروية إظهار آيات الله للعبرة وإنجاء الجسد كان لأجل أن يعتبر به الناس.
4. إثبات قدرة الله برفع الجسد حيا بعد الغرق ليبقى دليلا حسيا.

¹ "المنتقى من فتاوى الفوزان" (1/ سؤال رقم 132).

² التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد] المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (1/ 2065).

³ يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (4/ 174).

⁴ يُنظر: ((جامع الرسائل)) لابن تيمية (1/ 208).

5. رد الشكوك بالحقائق المشاهدة خصوصا لمن شك من بني إسرائيل في موته.

6. عاقبة الطغيان مهما بلغ صاحبه ففرعون مع جبروته هلك وصار عبرة.

7. تاريخ هلاك فرعون:

قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾¹.

قال ابن كثير: وَقَدْ كَانَ هَلَاكُهُ وَجُنُودِهِ فِي يَوْمٍ عَاشُورَاءَ. كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عُندَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي بَشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَالْيَهُودُ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالُوا هَذَا يَوْمَ ظَهَرَ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصُومُوا» وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه الرواية لبيان اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون مع جنوده، هو يوم عاشوراء، في هذا الحديث أن اليهود كانوا يصومونه تعظيما لموسى، بين الرسول ﷺ أننا أكثر اتباعا لموسى ودينه من اليهود، صادقون في هذا الاتباع، هم يعملون ببعض شرعه ويتركون بعضه، أمر أمته أن يصوم اليوم العاشر من المحرم، ولما كانت مخالفة اليهود مأمورا بها، قال: لمن بقيت إلى القابل لأصومن التاسع.

صيام يوم عاشوراء:

هل يثبت أجر عاشوراء لمن نوى صيامه أثناء اليوم؟

يكفر السنة الماضية لقول النبي ﷺ: « صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَصِيَامُ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ »⁴، وهذا من فضل الله علينا أن أعطانا بصيام يوم واحد تكفير ذنوب سنة كاملة والله ذو الفضل العظيم.

¹ يونس: 90.

² أي غلب.

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 274. صحيح البخاري كتاب الصوم باب صيام يوم عاشوراء رقم الحديث ٢٠٠٤.

⁴ رواه مسلم 1162.

وقد كان النبي ﷺ يتحرى صيام يوم عاشوراء؛ لما له من المكانة، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء وهذا الشهر يعني شهر رمضان.¹ ومعنى "يتحرى" أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرجبة فيه.

سبب صوم النبي ﷺ ليوم عاشوراء:

وأما سبب صوم النبي ﷺ ليوم عاشوراء وحث الناس على صومه فهو ما رواه البخاري² عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال «قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ»، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ".

قوله: (هذا يوم صالح) في رواية مسلم هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه.

قوله: (فصامه موسى) زاد مسلم في روايته شكراً لله تعالى فنحن نصومه.

وفي رواية للبخاري ونحن نصومه تعظيماً له.

قوله: (وأمر بصيامه) وفي رواية للبخاري أيضاً: فقال لأصحابه أنتم أحق بموسى منهم فصوموا.

ما هي الذنوب التي يكفرها صوم عاشوراء؟

تكفير الذنوب الحاصل بصيام يوم عاشوراء المراد به الصغائر، أما الكبائر فتحتاج إلى توبة خاصة.

قال النووي -رحمه الله-:

يُكَفِّرُ (صيام يوم عرفة) كُلَّ الذُّنُوبِ الصَّغَائِرِ، وَتَقْدِيرُهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا إِلَّا الْكَبَائِرَ.

ثم قال رحمه الله: "صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ كَفَّارَةٌ سَنَتَيْنِ، وَيَوْمُ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةٌ سَنَةٍ، وَإِذَا وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ صَالِحٌ لِلتَّكْفِيرِ فَإِنْ وَجَدَ مَا يُكَفِّرُهُ مِنَ الصَّغَائِرِ كَفَّرَهُ، وَإِنْ لَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً كُتِبَتْ بِهِ حَسَنَاتٌ وَرُفِعَتْ لَهُ بِهِ دَرَجَاتٌ، وَإِنْ صَادَفَ كَبِيرَةً أَوْ كَبَائِرَ وَلَمْ يُصَادِفْ صَغَائِرَ، رَجَوْناً أَنْ تُخَفَّفَ مِنَ الْكَبَائِرِ.³

¹ رواه البخاري كتاب الصوم باب صيام يوم عاشوراء رقم الحديث 1867.

² (1865).

³ المجموع شرح المذهب لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) بأشر تصحيحه: لجنة من العلماء الناشر: (إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي) - القاهرة عام النشر: ١٣٤٤ - ١٣٤٧ هـ، ج 6.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَتَكْفِيرُ الطَّهَّارَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَعَرَفَةَ، وَعَاشُورَاءَ لِلصَّغَائِرِ فَقَطُّ.¹

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. التَّوْبَةُ بعد المعايبة لا تنفع؛ قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلَا نَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ إذ إنَّ إيمانَ فرعونَ في تلك اللَّحْظَةِ كان إيمانًا مُشَاهِدًا غيرَ نافعٍ، فالإيمانُ الذي ينفعُ إنما هو الإيمانُ بِالْغَيْبِ.
2. بيان زمن هلاك فرعون حصل في يوم عاشوراء.
3. مشروعية صيام يوم عاشوراء تأسيساً بموسى عليه السلام .
4. حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مخالفة اليهود.
5. إثبات وقوع القصص القرآني في تواريخ معينة لها دلالات شرعية وتاريخية.

¹ الفتاوى الكبرى لابن تيمية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ج5.

المبحث الثالث

الروايات التفسيرية التي وردت في أمر بني اسرائيل بعد هلاك فرعون

1. سبب تسمية مريم بأخت هارون:

فَصَلِّ فِيْمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾¹.

قال ابن كثير: عِمْرَانُ أُمُّ عِيسَى هِيَ أُخْتُ هَارُونَ وَمُوسَى مع قوله يا أخت هارون وَقَدْ بَيَّنَّا غَلْطَهُ فِي ذَلِكَ وَأَنَّ هَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ وَلَمْ يُتَابِعْهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ خَالَفَهُ فِيهِ وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ هَذَا مُحْفُوظٌ فَهَذِهِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَأُمُّ عِيسَى عَلَيْهَا السَّلَامُ وَافْقَتْهَا فِي الْأَسْمِ وَأَسْمِ الْأَبِ وَأَسْمِ الْأَخِ لِأَنَّهُمْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُغِيرَةِ بِنِ شُعْبَةَ لَمَّا سَأَلَهُ أَهْلُ نَجْرَانَ عَنْ قَوْلِهِ يَا أُخْتُ هَارُونَ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ هُمْ حَتَّى سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسْمَاءِ أَنْبِيَائِهِمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.²

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير - رحمه الله - هذه المروية أثناء حديثه عن الأحوال التي صارت إليهم بنو اسرائيل بعد هلاك موسى، ذكر قصة تاريخية فيها ذكر اسم مريم أخت هارون، من هنا أخطأ بعض الناس مثل محمد القرظي فزعم أن مريم أم عيسى هي الأخت الحقيقية لموسى وهارون، ورد ابن كثير بأن هذه الرواية غير محفوظة، على فرض ثبوتها نقول: أن مريم أم موسى وافقت في الاسم أخت هارون وهي أيضا مريم وذكر أن الرسول ﷺ قال: إن الأنبياء يسمون بأسماء أنبيائهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ في تفسيرها أقوال:

- قيل هارون أخو موسى، والمراد: يا من كنا نظنها مثل هارون في العبادة كيف تأتين بمثل هذا.
- وقيل: كانت مريم من ولد هارون أخي موسى، فنسبت إليه بالأخوة، لأنها من ولده، كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللعربي يا أخا العرب.
- وقيل: كان لها أخ من أبيها اسمه هارون، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل.

¹ مريم: 28.

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 276، صحيح مسلم للإمام مسلم القشيري كتاب الآداب باب فضائل مريم بنت عمران عليها السلام رقم الحديث (2135).

والأقوال الثلاثة اتفقت على أمر وهو أن هارون رجل صالح ونسبت مريم إليه، لما بينهما من التماثل في العبادة والخلق الحسن.

وثمة قول رابع: وهو أن هارون رجل فاجر في ذلك الزمان، فنسبوا إليه على جهة التعيير والتوبيخ، لما رأوها حاملاً.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

- 1- في قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ إشارة إلى أن الإنسان إذا زنى؛ فقد يُبتلى نسله بالزنا، والعياد بالله.
- 2- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ فيه تنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش.
- 3- في قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ تنبيه على أثر المرأة ذات الأصل الطاهر، والمنبت الطيب، واجتناب ذوات المنابت الخبيثة.
- 4- فيها بيان خطأ من يظن أن هارون في الآية هو أخو موسى -عليه السلام-.
- 5- يجب أن يفهم القرآن في ضوء اللغة والعادات القديمة.
- 6- أهمية الرجوع إلى السنة لفهم القرآن.
- 7- الدقة في الرد على الشبهات كما فعل عليه السلام حين أجاب المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه-.

2. التبرك بالأشجار منهي عنه، أن بني إسرائيل طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا:

قال الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ¹﴾.

قال ابن كثير: وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدِّيلِيِّ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ حَنِينٍ فَمَرَرْنَا بِسَدْرَةٍ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْكَفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ² وَكَانَ الْكَفَّارُ يُنَوِّطُونَ سِلَاحَهُمْ بِسَدْرَةٍ وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا فَقَالَ

¹ الأعراف: 138.

² جمع النَّوَطُ || المعلق يقال «عنده أنواط من التمر والعنب» و في المثل «عاطٍ بغير أنواطٍ» أي: يتناول و ليس هناك شيء معلق و هو مثل قولهم كالجاري (مح) [(ل) كالحادي بالحاء و الدال المهملتين] و ليس له بغير و تجشأ فلان (مح) [(ل) لقمان] من غير شيع. (أقرب الموارد , ج5 , ص515).

النَّبِيُّ اللَّهُ ﷻ اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.¹

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير - رحمه الله - هذه المروية لكونها كاشفة عن المعنى الصحيح للعبادة، أن العبادة لا تنحصر في نوع خاص، ل كل ما فيه تعظيم لشيء فهو عبادة، في هذا الحديث نهي الرسول ﷺ الصحابة عن نوط سلاحهم بالشجرة والتبرك بها، أن ذلك يفتح باب الشرك، لم يفرق بين إرداتهم وإرادة بني اسرائيل حيث طلبوا من موسى جعل إله لهم.

وفي هذه الآية ذكر الله أن بني اسرائيل مروا بقوم عاكفين على أصنام لهم، طلبوا من موسى أن يجعل لهم إله كما لهم، وصف الأصنام أنها لهم دليل على زيادة التشييع وإخبار بجهلهم لعبادتهم ما هو مملوك لهم، كيف يصح لعاقل أن يجعل المملوك معبودا لهم.²

وقوله تعالى: قالوا يا موسى، وهم أن هذا القول صادر عن جميعهم، الأمر ليس كذلك، أن ذلك لم يصدر إلا عن البعض لكن نسب إلى الكل، هذا معتاد في كلام العرب أن يحدث الفعل من البعض فينسب إلى الكل.³ وقد أجابهم موسى عليه السلام بكل عنف، أن ذلك يناسب حالهم، عبادة الله تعالى لا يتسامح في شأنها، لا أحد معذور بالجهل في أمور تتعلق بوحداية الله.

وقول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وَصَفَهُمْ فِيهِ بِالْجَهْلِ الْمَطْلَقِ، غَيْرَ مُتَعَلِّقٍ بِشَيْءٍ؛ لِيَشْمَلَ كُلَّ مَا يَصْلُحُ لَهُ مِنَ الْجَهْلِ الَّذِي هُوَ فَقْدُ الْعِلْمِ، وَالْجَهْلُ الَّذِي هُوَ سَفَهُ النَّفْسِ، وَطَيْشُ الْعَقْلِ، وَأَهْمُهُ الْمُنَاسِبُ لِلْمَقَامِ جَهْلُ التَّوْحِيدِ، وما يجب من إفراد الرَّبِّ تعالى بالعبادة من غير واسطة.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. عد القبيح حسنا يدل على خفة العقول، وهذا الذي جعل السامري يتخذ العجل معبودا لهم الذي لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا.
2. إن الشارع نهي عن كل وسيلة مفضية إلى الشرك، صدا للذرائع، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

¹ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 277، رواه الإمام أحمد 21390، والترمذي 2180 وقال: حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة، وقال المناوي: إسناده صحيح، وصححه الألباني في رياض الجنة رقم 76.

² يُنظر: تفسير ابن عرفة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت ٨٠٣هـ) المحقق: جلال الأسيوطي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م (247/2).

³ يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (157/5). بتصرف.

3. فيها أن مجرد رؤية الناس على ضلال لا يبرر الاقتداء بهم.
4. حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تصحيح العقيدة فوراً.
5. أن الجهل بأمور التوحيد قد يقع فيه حتى من رأى المعجزات.

3. رد رواية إسرائيلية في بيان حجم الجبارين:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.¹

قال ابن كثير: وَذَكَرُوا هَاهُنَا أَنَّ عُوجَ بَنِ عُنُقٍ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْجَبَّارِينَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيُهْلِكَهُمْ وَكَانَ طُولُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ وَثَلَاثُمِائَةِ ذِرَاعٍ وَثَلَاثَةُ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَثَلَاثَ ذِرَاعٍ هَكَذَا ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ كَمَا قَدَّمْنَا بَيَانَهُ عِنْدَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا».²

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لرد بعض روايات اسرائيلية فيها طول أحد الجبارين الذي قاتلهم موسى عليه السلام، ذكروا أن طوله ثلاثة آلاف ذراع، ونسب هذا القول إلى ابن عباس، كن ابن كثير يرى أن في نسبته إليه نظر، استدلل ابن كثير لرد هذا القول بقول الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَطُولَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا»، كان الناس من بعده ينقص حجمهم، كيف صح أن يكون ذلك الحجم للجبار؟

وأخبرنا الله في هذه الآيات أن موسى -عليه السلام- لما ذكر قومه بنعم الله التي أسبغها عليهم، مرهم بقتال الجبارين، قائلاً: إِنَّ تِلْكَ الْأَرْضَ قَدْ قَدَرَهَا اللَّهُ لَكُمْ بِشَرَطٍ أَنْ تَدْخُلُوهَا، اعتذروا عن القتال ونادوه باسمه ولم يقولوا يا رسول الله بل قالوا موسى، في هذا من الجفاء ما لا يخفى، كان عذرهم أن هناك قوما قوية الأجسام، ديدة البأس، لا نقدر على قتالهم.

● ما يستفاد من سياق الآيات والمروية:

- 1- أَنَّ مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا فَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ نِعْمَةً عَظِيمَةً، تحتاج إلى التذكُّر؛ لِأَنَّ نَبِيَّهِمْ مُوسَى ﷺ ذَكَرَهُمْ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، مِنْ خِلَالِ تَذَكُّرِهِمْ بِنِعْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِمْ، فَقَالَ: ﴿يَا قَوْمِ ادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً﴾.³

¹ المائدة: 22.

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 278، وهكذا القول ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن في إسناده نظر رواه ابن جرير في تاريخه ١/٤٣١، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٠٤) وإسناد أبي الشيخ موضوع.

³ ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة (257/1).

- 2- يُستفاد من قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أنه ينبغي للداعية أن يُذكر من يُوجّه إليهم الخطاب بنعم الله عليه؛ لأنّ تذكيرهم بالنعم يُوجب لهم محبة الله.¹
- 3- أنه كلما أنعم الله على عبده بنعمة وجب عليه من السمع والطاعة ما لم يجب على غيره؛ لأمره بدخول الأرض المقدسة، بعد ذكر النعم مباشرة؛ حيث قال: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾.²
- 4- التحذير من الروايات الإسرائيلية لا سيما إذا كانت تخالف النصوص الثابتة أو تبالغ إلى درجة غير معقولة.
- 5- عقلانية الإسلام في عرض القصص لا يغرق في الخرافات بل يقدم مشاهد حقيقية واقعية.
- 6- جبن بني إسرائيل وتعللهم بالخوف.

4. تفسير ابن عباس لمفردة (الفرق) في قصة موسى عليه السلام:

- قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين³.
- قال ابن كثير: قال ابن عباس أفض بيني وبينهم.⁴

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير هذه المروية لبيان معنى الفرق في الآية وأنه القضاء. ومعنى الآية أن موسى -عليه السلام- طلب من الله القضاء بينه وبين قومي لما يؤس من إيمانهم، لم يطعه منهم إلا أخوه، حرم الله على العصاة دخول القرية وحبسهم في التيه أربعين سنة، تى ماتوا ولم يدخلها إلا أولادهم من بعدهم.

وتتحدث المروية عن تفسير ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه فسر قول موسى -عليه السلام- فافرق أي فاحكم، وهذا دعاء من موسى -عليه السلام- إلى ربه بأن يميز الطائفتين لما رأى تمادي بني إسرائيل في العصيان والفسق.

● ما يستفاد من المروية:

¹ ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة (256/1).

² ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة (256/1).

³ المائدة: 25.

⁴ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 279. ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان 10/397 عن يعقوب عن ابن عباس عن مهدي عن محمد عن عبيدة والسند رواه ثقات فهو أثر صحيح.

1. جواز دعاء الإنسان ربه عز وجل أن يفصل بينه وبين أهل الفسوق والفجور؛ لقوله: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾، ويمكن أن يتفرع على هذه الفائدة جواز هجران الفسقة؛ لأن الهجر مفارقة.¹
2. أن التحلي عن الجهاد في سبيل الله من الفسق؛ لقوله: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾.²
3. إرشاد الإنسان ألا يحزن على الفاسق؛ لأنه إذا بذل جهده فيما يجب من الدعوة، فإن هداية الخلق ليست إليه، بل إلى الله، فلا يحزن؛ ولهذا قال الله: ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾.^{3,4}
4. فيها أن الفسق سبب في انفصال الجماعة واختلافها.
5. الرجوع إلى الله في طلب الحكم والفصل دليل الإيمان.

5. بيان جفاء بني إسرائيل مع موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.⁵

قال ابن كثير: عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ مَشْهَدًا لَأَنَّ أَكُونَ أَنَا صَاحِبُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُذِلَ بِهِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمَشْرِكِينَ قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﴿اذهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ يَسَارِكَ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشْرِقُ لِدَلِكِ وَسُرَّ بِذَلِكَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.⁶

● التحليل والمناقشة:

¹ ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة (281/1).

² ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة (282/1).

³ المائدة: 26.

⁴ ينظر: تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة (284/1).

⁵ المائدة: 24.

⁶ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 3 ص 263، والبخاري ص 752 برقم (3952) كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾.

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان جفاء بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، أنهم كانوا يؤذونه، لذلك كان الرسول ﷺ إذا وجد أذية من الناس، كر موسى عليه السلام كما في قصة ذي الخويصرة معه حين قال له: اعدل يا محمد، محمد ﷺ أكثر شبهها بموسى عليه السلام.

وهذه الرواية تعكس قمة الجفاء من بني إسرائيل تجاه نبيهم بعد أن أمرهم بدخول الأرض المقدسة بدلا من طاعته والثقة بوعد الله.

وقولهم: ﴿اذهب﴾ بهذه الصيغة كأهم أمرون لموسى -أيضا فيه استعلاء واستكبار، فأذهب أنت ورؤك يعني: ما رجوه رجاء وقالوا: ألا تذهب يا رسول الله، أو يا نبي الله، أو ما أشبه ذلك، وجه ثالث من الغطرسة في قولهم: ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، أي: لا نتحرك ولا نذهب معكم، لم يقولوا مثلاً: إِنَّا رِذَّةٌ لَكَ لَحْمِيكَ مِنْ ظَهْرِكَ، وما أشبه ذلك! ففيها أيضاً مُنتهى الغطرسة من بني إسرائيل.

وفي هذا الحديث بيان لموقف من شجاعتهم، وصدق إيمانهم، وحبهم للنبي ﷺ، فيخبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه شهد من المقداد بن الأسود رضي الله عنه مشهدا وموقفا، تمنى أن لو كان هو صاحب هذا المشهد وقائل تلك المقالة التي قالها، وأنها مقولة أحب إليه مما عدل به، أي: مما وزن به من شيء يقابله من متع الدنيا، أو الثواب الذي عدل ذلك المشهد به؛ وسبب ذلك أنه استشف من تلك الكلمات أنها بلغت من رضا الله عز وجل، ورضا رسوله ﷺ في تلك الساعة، وفي ذلك المقام؛ مبلغا لا يعدله ما يناله علم البشر من الأماني؛ وذلك أنه قال قولا تعلقت به قلوب المؤمنين.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1. فيه أن الصحابة آثروا الحياة الأبدية على الفانية، كانوا مع رسول الله ﷺ في موقف شديد مثل هذا، لم يكونوا يتخلفون عنه ولا يرغبون بأنفسهم عن نفسه.
2. في الحديث: ما يدل على فضل المقداد بن الأسود رضي الله عنه.
3. وفيه: فضل ابن مسعود رضي الله عنه من حيث معرفته بالفضل لأهله.
4. جفاء بني إسرائيل وصل إلى درجة العصيان العلني والاستهزاء.
5. عزة الأمة المحمدية وعلو همتها في طاعة رسولها.
6. أدب الصحابة في الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم مقارنة بظاظة بني إسرائيل.

الفصل الثاني

دخول بني إسرائيل التيه ونحوه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دخول بني إسرائيل التيه.

المبحث الثاني: سؤال الرؤية.

المبحث الثالث: قصة عبادة العجل في غيبة موسى عليه السلام.

المبحث الأول

دخول بني إسرائيل التيه

فَصَلِّ فِي دُخُولِ بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّيَّةَ وَمَا جَرَى لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ:
لم أجد رواية فيه.

المبحث الثاني

سؤال الرؤية

1. تعيين ثلاثين ليلة أو أربعين التي وعدا موسى:

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ¹.

قال ابن كثير: قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَسْرُوقٌ وَمُجَاهِدٌ الثَّلَاثُونَ لَيْلَةً هِيَ شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ بِكَمَالِهِ وَأُتِمَّتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بِعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ كَلَامُ اللَّهِ لَهُ يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ وَفِي مِثْلِهِ أَكْمَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينَهُ وَأَقَامَ حُجَّتَهُ وَبَرَّاهِينَهُ².

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير قول ابن عباس وغيره هنا لتعيين ما أجمله الله من الليالي التي قدم فيها موسى على ربه عز وجل، أن ذلك هو كامل شهر ذي القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة.

ويرى الواحدي والشنقيطي أن المدة المضروبة لموسى -عليه السلام- إنما جعلت؛ ليصوم أيامها، ويتعبد فيها قبل المناجاة³.

قال ابن كثير: "وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي؛ فالأكثر على أن الثلاثين هي ذو القعدة، والعشر عشر ذي الحجة، قاله مجاهد، ومسروق، وابن جريج، وزوي عن ابن عباس، فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر، وحصل فيه التكليم لموسى -عليه السلام-"⁴.

¹ الأعراف: 142.

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 283.

³ يُنظر: التفسير الوسيط (330/9)، العذب النميز (141/4).

⁴ تفسير ابن كثير (468/3).

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1- جَمَعَ موسى لهارونَ في وصيَّته مِلاكَ السِّيَاسَةِ بقوله: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ فَإِنَّ سِيَاسَةَ الْأُمَّةِ تدور حَوْلَ محورِ الإصلاحِ، وهو جَعْلُ الشَّيْءِ صَالِحًا، فجميعُ تصرُّفاتِ الْأُمَّةِ وأحوالها يجب أن تكونَ صالحةً، وذلك بأن تكونَ الأعمالُ عائدةً بالخيرِ والصَّلاحِ لفاعِلِها ولغيره، فإنَّ عادتِ بالصَّلاحِ عليه وبضِدِّهِ على غيره لم تُعْتَبَرْ صَالِحًا، ولا تَلَبَّثُ أَنْ تَقُولَ فسادًا على مَنْ لاحتَ عنده صلاحًا، ثمَّ إذا تردَّدَ فعلٌ بين كونه خيرًا من جهةٍ، وشرًّا من جهةٍ أخرى وَجَبَ اعتِبارُ أقوى حالتيه، فاعتُبرَ بها إنَّ تعدَّرَ العدولُ عنه إلى غيره، ممَّا هو أوفَرُ صلاحًا، وإن استوى جهته الأُغْيَى إنَّ أَمَكْنَ إلغاؤه وإلا تَخَيَّرَ، وهذا أَمَرُ لهارونَ جامعٌ لِمَا يتعيَّنُ عليه عمله من أعمالِهِ في سِيَاسَةِ الْأُمَّةِ.¹

- 2- أَمَرَ اللهُ بالصَّلاحِ، ونهى عن الفسادِ، وَبَعَثَ رُسُلَهُ بِتَحْصِيلِ المصالحِ وتكميلِها، وتَعْطِيلِ المفسادِ وتقليلِها؛ يُبَيِّنُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.²
- 3- فيها إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه يتكلم حقيقة كما يليق بجلاله وهو معتقد أهل السنة والجماعة.
- 4- أهمية التهيئة للقاءات العظيمة، بالتفرغ أربعين ليلة مما يدل على أهمية الإعداد الروحي للعبادات الكبرى.

2. السبب الباعث على إضافة عشر ليال إلى الثلاثين، هل استعمال السواك يذهب بخلوف فم الصائم؟

قال ابن كثير: يُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الطَّعَامَ فَلَمَّا كَمَلَ الشَّهْرُ أَخَذَ لِحَا شَجَرَةٍ فَمَضَعَهُ لِيُطَيِّبَ رِيحَ فَمِهِ فَأَمَرَ اللهُ أَنْ يُسَبِّحَ عَشْرًا أُخْرَى فَصَارَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ خُلُوفَ³ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ⁴.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير هذا الحديث (خلو فم الصائم) رواية بالمعنى، وهو يتكلم عن حكمة زيادة الله في تلك الليالي، وهي أن موسى عليه السلام تسوك، وأمره الله أن يصوم عشرة أيام أخرى، حتى يحصل له خلوف قبل لقاء ربه.

¹ يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (87/9، 88).

² يُنْظَرُ: ((مجموع الفتاوى)) (266/31).

³ قال أبو عبيد: الخُلُوفُ تغير طعم الفم لتأخُّرِ الطعام | | و منه حديث عليّ، عليه السلام: حين سُئِلَ عن القُبلة للصائم فقال: و ما أَرْزُكُ إلى خُلُوفِ فِيهَا (لسان العرب ، ج 9 ، ص 93).

⁴ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 283.

وقد ورد عن الإمام الشافعي نهي الصائم عن استعمال السواك، قال البخاري - رحمه الله -: بَابُ سِوَاكِ الرَّطْبِ وَالْيَابِسِ لِلصَّائِمِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ»، قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَلَمْ يُخَصَّ الصَّائِمُ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»، وَقَالَ عَطَاءٌ وَقَتَادَةُ: يَبْتَلَعُ رِيْقَهُ.

قال الحافظ في الفتح:

أَشَارَ بِهَذِهِ التَّرْجُمَةِ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ كَرِهَ لِلصَّائِمِ الِاسْتِيَاكَ بِالسِّوَاكِ الرَّطْبِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قِيَاسُ ابْنِ سِيرِينَ السِّوَاكَ الرَّطْبَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي يُتَمَضَّمُ بِهِ.

"وَلَمْ يُخَصَّ صَائِمًا مِنْ غَيْرِهِ" أَيُّ وَلَمْ يُخَصَّ أَيْضًا رَطْبًا مِنْ يَابِسٍ، وَبِهَذَا التَّفْصِيلِ تَظْهَرُ مُنَاسَبَةُ جَمِيعِ مَا أُورِدَهُ فِي هَذَا الْبَابِ لِلتَّرْجُمَةِ، وَالْجَامِعُ لِذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَأَمْرُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ»، فَإِنَّهُ يَفْتَضِي إِبَاحَتَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ.

(وَقَالَ عَطَاءٌ وَقَتَادَةُ يَبْتَلَعُ رِيْقَهُ) مُنَاسَبَتُهُ لِلتَّرْجُمَةِ مِنْ جِهَةِ أَنَّ أَقْصَى مَا يُخَشَى مِنَ السِّوَاكِ الرَّطْبِ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْهُ فِي الْفَمِ شَيْءٌ وَذَلِكَ الشَّيْءُ كَمَاءُ الْمَضْمَضَةِ فَإِذَا قَذَفَهُ مِنْ فِيهِ لَا يَضُرُّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَبْتَلَعَ رِيْقَهُ. انتهى كلام الحافظ ابن حجر باختصار.

● ما يستفاد من الرواية:

1. فيها فضل الصوم وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله.
2. فيها أن الأنبياء والدعاة تحملوا المتاعب والمشاق في سبيل الدعوة إلى الله، وقد كتب في هذا عبد الفتاح أبو غدة كتابه (صفحات من صبر العلماء).

3. طلب موسى عليه السلام ربه رؤيته:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ١﴾.

¹ الأعراف: 143.

قال ابن كثير: فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «حِجَابُهُ النُّورُ، وَفِي رِوَايَةِ النَّارِ لَوْ كَشَفَهُ لَا حَرَقَتْ سُبُحَاتُ¹ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»².

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية أثناء سرد قصة موسى ليفسر قوله تعالى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ فهذا الحديث تأكيد لما جاء في القرآن من استحالة رؤية الله في الدنيا.

قال الشنقيطي³: "والمعنى: أنت أضعفُ - يا موسى - من أن تقدِرَ على رؤية خالقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ؛ لأنَّ شأنَهُ أعظمُ، وأمرُهُ أكبرُ وأجلُّ من أن يقدر على رؤيته أحدٌ في الدنيا؛ لأنَّ النَّاسَ في الدنيا مُركَّبون تركيبيًا لا يبلغ غايةَ القوَّةِ، مُعرَّضون للموت والهلاكِ، فأنت بهذه الدَّارِ لا تقدِرُ أن ترى ربَّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ"⁴، وقال السعدي: "الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرُونَ بها، ولا يثبتُونَ لرؤية الله، وليس في هذا دليلٌ على أنَّهم لا يَرَوْنَهُ في الجنَّةِ، فإنه قد دلَّت النصوص القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة على أن أهل الجنَّة يَرَوْنَ رَحِمَ تبارك وتعالى، ويتمتَّعون بالنظرِ إلى وجهه الكريم، وأنه يُشْهَنُهم نشأةً كاملةً، يقدرُونَ معها على رؤية الله تعالى؛ ولهذا رَتَّبَ اللهُ الرؤيةَ في هذه الآية على ثبوت الجبل"⁵.

قال القرطبي شارح مسلم: "قوله: «لو كشفها» الضمير عائد على النار أو الأنوار، والحجاب ؛ بمعنى: الحجب، والسبحات جمع سُبحة، وأصلها جمال الوجه وبهاؤه، ثم يُعَبَّرُ عنها عن العظمة والجلال، وفي العين والصَّحاح: سُبُحات وجه ربِّنا جلَّالهِ، والهاء في بصره عائدة على الله تعالى على أحسن الأقوال، وهو الذي عاد عليه ضمير وجهه، وكذلك ضمير خلقه.

ومعنى الكلام: أن الله تعالى لو كشف عن خلقه ما منعهم به من رؤيته في الدنيا لما أطاقوا رؤيته، ولهلكوا من عند آخرهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، ويفيد أن تركيب هذا الخلق وضعفهم في هذه الدار لا يحتمل رؤية الله فيها، فإذا أنشأهم الله للبقاء وقوَّاهم، حملوا ذلك"⁶.

¹ أنواره و جلالته و عظمته. (المعجم الوسيط , ص412).

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 283. أخرجه ابن ماجه (196) واللفظ له، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان باب في قوله حجاب النور رقم الحديث (179).

³ محمد الأمين الشنقيطي، ويُعرف أيضًا باسم آت ولد اخطور (1325 - 1393 هـ / 1907 - 1974 م) علامة سعودي الجنسية، من أصل موريتاني، فقيه ومفسر وأصولي ولغوي، وعضو هيئة كبار العلماء السعودية، وعضو رابطة العالم الإسلامي.

⁴ ((العذب النمير)) (147/4).

⁵ ((تفسير السعدي)) (ص: 302)، ويُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (468/3).

⁶ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م (1/ 411).

وقال الشيخ محمد علي آدم، حفظه الله¹: «مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ الْمُرَادُ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ»؛ لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات، ولفظة "من" لبيان الجنس، لا للتبعية، والتقدير: لو أزال المانع من رؤيته، وهو الحجاب المسمى نورًا أو نارًا، وَتَجَلَّى لَخَلْقِهِ لِأَحْرَقَ جَلال وجهه جميع مخلوقاته".

قال الطيبي رحمه الله: "وذهب المظهر وغيره إلى أن الضمير في "بصره" إلى الخلق، و"ما" في "ما انتهى" بمعنى: "من" و"من خلقه" بيان له، والأول هو الوجه - يعني: أن رجوع ضمير "بصره" إلى الله تعالى هو المعنى الصحيح - بل فساد هذا المعنى لا خفاء فيه، والله تعالى أعلم".²

وقال الشيخ ابن عثيمين: "يعني لو كشف هذا الحجاب، والحجب أيضًا من نور، لكنها نور دون نور الباري عز وجل، ولو كشف الله هذا النور لأحرقت سبحات وجهه أي بهاؤه وعظمته ونوره، ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبصره ينتهي إلى كل شيء، والمعنى لو كشفه لأحرق هذا النور كل شيء".³

4. الحكمة في أمر الله موسى -عليه السلام- بالنظر إلى الجبل:

قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.⁴

قال ابن كثير: قال مجاهد ﴿وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فإنه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلّى ربه للجبل فنظر إلى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل فدك⁵ على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا.⁶

● التحليل والمناقشة:

¹ محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الولوي (1365هـ - 21 صفر 1442هـ) هو محدث فقيه أصولي ونحوي، أخذ العلم عن كثير من علماء بلده، ومنهم والده، والعلامة عبد الباسط بن محمد بن حسن الإثيوبي البوزي المباسي، وغيرهم من العلماء، حفظ الكثير من متون العلم، والمنظومات العلمية كالألفية ابن مالك، وألفية السيوطي في المصطلح، وغيرها من المتون، وبرع في علم المعقول، والمنقول، من نحو، وصرف، وبلاغة، وأصول، ومنطق، وحديث، وفقه، وغيرها من علوم الإسلام.

² انتهى من "البحر المحيط الثجاج" للشيخ محمد علي آدم الأثيوبي (89/5).

⁴ الأعراف: 143.

⁵ كسر الحائط (العين ، ج 5 ، ص 274).

⁶ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 285.

ذكر ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية ليبين أن الله أمر موسى -عليه السلام- بالنظر إلى الجبل ليعلم أن ما هو أكبر من خلق الإنسان لا يقدر على الثبات عند رؤية الله فالمخلوق الضعيف من باب أولى.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أي: ولَمَّا جَاءَ موسى إلى جبل الطُور في الوقت الذي حدّدناه له؛ لِنُنَاجِيَهُ، وَنُعْطِيَهُ التَّوْرَةَ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ من غير واسطة، قال موسى: يا ربِّ، أَرِنِي نَفْسَكَ؛ لِأَنْظُرَ إِلَيْكَ.¹

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ أي: قال الله مُجِيبًا موسى: لن تَقْدِرَ على رُؤْيِي في الدُّنيا.

عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وفي رواية أبي بكر: النَّارُ - لو كَشَفَهُ لَأُخْرِقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».²

ثم بيّن الله تعالى لموسى عدم استطاعته رؤيته في الدنيا، فقال مُقْنِعًا له بذلك:

﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ أي: ولكن انظر إلى الجبل - يا موسى - فَإِنِ تَحَلَّيْتُ لَهُ، وَثَبَّتَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، وَإِذَا لَمْ يَثْبُتْ مَكَانَهُ - وهو أقوى منك، وَأَشَدُّ صَلَابَةً - فَإِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ رُؤْيِي مِنْ بَابٍ أَوْلَى؛ فَأَنْتَ أضعفُ مِنْ أَنْ تَتَحَمَّلَ ذَلِكَ.

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى دَكًّا قراءتان:

قراءة دَكَّاءَ، أي: جعلها أرضًا دَكَّاءَ، وهي الأرضُ المِسْتَوِيَّةُ.³

قراءة دَكَّا، أي: جعلها أرضًا مَدْكُوكَةً، أي: مُفْتَتَتَةً كَالْتُّرَابِ.

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: فلَمَّا ظَهِرَ اللهُ تعالى وبَانَ لِلْجَبَلِ جعله اللهُ مُفْتَتَتًا، مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ.

﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أي: وسَقَطَ موسى عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ دَكِّ الْجَبَلِ.

¹ يُنْظَرُ: تفسير ابن جرير (418/10)، البسيط للواحد (332/9)، تفسير البغوي (228/2).

² رواه مسلم كتاب الإيمان باب في قوله حجاب النور رقم الحديث (179).

³ قرأ بها حمزة، والكسائي. يُنْظَرُ: النشر لابن الجزري (272/2). قال ابن زنجلة: (قرأ حمزة والكسائي: جَعَلَهُ دَكَّاءَ بِالْمَدِّ وَالْهَمْزِ، قَالَ الْأَخْفَشُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: دَكَّاءَ أَيْ: جَعَلَهُ مِثْلَ دَكَّاءَ، ثُمَّ خُذِفَ الْمِضَافُ وَأُقِيمَ الْمِضَافُ إِلَيْهِ مُقَامَهُ كَمَا قَالَ: وَأَسْأَلُ الْقُرْآنَ أَلْتِي [يوسف: 82]، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: نَاقَةٌ دَكَاءُ، أَيْ: لَا سِنَامَ لَهَا، وَقَالَ قُطْرُبٌ: قَوْلُهُ: دَكَّاءَ صِفَةٌ، التَّقْدِيرُ: جَعَلَهُ أَرْضًا دَكَّاءَ، أَيْ: مِلْسَاءً، فَأُقِيمَتِ الصِّفَةُ مُقَامَ الْمَوْصُوفِ، وَخُذِفَ الْمَوْصُوفُ وَدُلَّ عَلَيْهِ الصِّفَةُ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا [البقرة: 83]، أَيْ: قَوْلًا حَسَنًا). حجة القراءات (ص: 295). وَيُنْظَرُ: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص: 163)، معاني القراءات للأزهري (422/1)، البسيط للواحد (337/9).

عن أبي سعيد - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرشِ؛ فلا أدري أفاق قبلي، أم جُوزي بصعقة الطورِ».

وقال سليمان بن حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾¹ - قَالَ حَمَّادٌ: هَكَذَا، وَأَمْسَكَ سُلَيْمَانُ بَطْرِفِ إِهْمَامِهِ عَلَى أُمْلَةٍ إصْبَعَهُ الْيَمْنَى، قَالَ: - فَسَاخَ الْجَبَلُ وَخَرَّ مُوسَى صَعَقًا».

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أي: فلما أفاق موسى من غشيته قال: أَنْزِلْهُكَ - يَا اللَّهُ - تَنْزِيلَهَا عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِكَ وَجَلَالِكَ وَعَظَمَتِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَحَدٌ رُؤْيَاكَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يَعِيشَ.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: قال موسى: إِنْ تُبْتُ إِلَيْكَ - يَا رَبِّ -؛ فَلَنْ أَعُودَ إِلَى طَلَبِ رُؤْيَاكَ فِي الدُّنْيَا.

كما قال نوحٌ عليه السَّلامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُودُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾².

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: قال موسى: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا هَلَكَ.

● ما يستفاد من المروية:

1. قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾، نبه تعالى بذلك على أن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بالألّا يستقر، وهذا تسكين لقلب موسى، وتخفيف عنه من ثقل أعباء المنع.³

2. قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى؛ فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد، لا ثواب له، ولا عقاب عليه، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامتهم، ويريههم نفسه؟! فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.⁴

3. قال تعالى: ﴿وخر موسى صعقاً﴾، رأى محمد رسول الله ﷺ ما رأى في ليلة الإسراء، وهو ثابت الجأش، حاضر القلب، لم يفن عن تلقي خطاب ربه وأوامره، ومراجعتة في أمر الصلاة مرارا، ولا ريب أن هذا الحال أكمل من حال موسى الكليم صلوات الله وسلامه عليهما؛ فإن موسى خر صعقا، وهو في مقامه في الأرض، لما تجلى ربه للجبل، والنبي ﷺ قطع تلك المسافات، وخرق تلك الحجب، ورأى ما رأى، وما زاع بصره وما

¹ الأعراف: 143.

² هود: 47.

³ ينظر: تفسير أبي حيان (164/5).

⁴ ينظر: حادي الأرواح لابن القيم (ص: 287)، وينظر أيضا: تفسير الرازي (356/14).

طغى، ولا اضطرب فؤاده ولا صعق صلوات الله وسلامه عليه، ولا ريب أن الوراثة المحمدية أكمل من الوراثة الموسوية.¹

4. قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، تعبيره بالإيمان في غاية المناسبة لعدم الرؤية؛ لأن شرط الإيمان أن يكون بالغيب.²

5. تفسير النبي ﷺ لجعل الله الجبل تدك عند التجلي:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.³

قال ابن كثير: عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قَالَ هَكَذَا بِأَصْبُعِهِ وَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِبْهَامَ عَلَى الْمَفْصِلِ الْأَعْلَى مِنَ الْخَنْصَرِ فَسَاحَ⁴ الْجَبَلُ» لَفْظُ ابْنِ جَرِيرٍ.⁵

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لما فيها من تفسير التجلي وكيفية ذلك الجبل. ومعنى الآية أنه لما جاء موسى لمناجاة ربه في الموعد المحدد له، وهو تمام أربعين ليلة، وكَلَّمَهُ ربه بما كَلَّمَهُ به من الأوامر والنواهي وغيرها، تاقَت نفسه إلى رؤية ربه، فسأله أن ينظر إليه، فأجابه الله سبحانه وتعالى: لن تراني في الحياة الدنيا؛ لعدم قدرتك على ذلك، لكن انظر إلى الجبل إذا تجلّيت له فإن بقي مكانه لم يتأثر فسوف تراني، وإن صار مستويًا بالأرض فلن تراني في الدنيا، فلما تجلّى الله للجبل جعله مستويًا بالأرض، وسقط موسى مَغْشِيًا عليه، فلما أفاق من الغشية التي أصابته قال: أَنْزَهُكَ - يا رب - تَنْزِيهَاً عن كل ما لا يليق بك، ها أنا تبت إليك مما سألتك من رؤيتك في الدنيا، وأنا أول المؤمنين.

وفي هذه المروية فسر الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بطريقة عملية حيث وضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر وهذا كناية عن حجم التجلي الإلهي.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

¹ ينظر: طريق المهجرتين لابن القيم (ص: 323، 324).

² ينظر: نظم الدرر للبقاعي (79/8).

³ سورة الأعراف: 143.

⁴ مِنْ بَائٍ قَالَ وَ بَاعَ... حَسَفَتْ (المصباح المنير , ص294).

⁵ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 284.

1. فيها أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه تعليماً بالفعل وهذا أقوى أنواع التعليم بحيث يرسخ كل صورة المعلوم في ذهن الدارسين والمتعلمين.
2. توضح المروية عظمة الخالق وقدرته وأن البشر لا يطيقون رؤية الله بشكل مباشر.

6. الاختلاف في معنى (صعقا):

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۖ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹.

قال ابن كثير: وعن ابن عباسٍ مَا بَحَلَّى يَغْنِي مِنَ الْعَظَمَةِ إِلَّا قَدْرُ الْخِنْصِرِ فَجَعَلَ الْجَبَلَ دَكًّا قَالَ تَرَابًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا أَيَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ وَقَالَ فَتَادَةُ مَيْتًا، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ لِقَوْلِهِ فَلَمَّا أَفَاقَ.²

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لذكر الاختلاف الواقع بين ابن عباس وقتادة في قوله (صعقا) هل يراد به الموت أم الغشيان، رجح قول ابن عباس رضي الله عنهما، هذا الاختلاف يسمى باختلاف التضاد وليس هو من قبيل اختلاف التنوع، ذلك عدل ابن كثير إلى الترجيح ولم يجمع بين الروایتين.

يخبر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة، يرتقب بعدها مناجاة ربه، وإنزال التوراة عليه، وأتممها عز وجل بعشر ليال، فتم ميقات ربه أربعين ليلة، وأمر موسى أخاه هارون - لما أراد الذهاب لمناجاة الله - أن يخلفه في قومه، وأن يصلح كل ما يحتاج إلى صلاح من أمرهم، ونهاه أن يتبع طريق المفسدين.

ولما جاء موسى للموعود الذي حدده له الله عز وجل ليناجيه، ويعطيه التوراة، وكلمه عز وجل بلا واسطة، طلب موسى من ربه أن يراه، فأخبره تعالى أنه لن يقدر على رؤيته في الدنيا، وأمره أن ينظر إلى الجبل فإن استقر في مكانه بعد أن يتجلى له الله، فسوف يرى موسى ربه، فلما ظهر الله للجبل جعله دكا، وسقط موسى مغشيا عليه من شدة دك الجبل، فلما أفاق قال: سبحانك! تبت إليك، وأنا أول المؤمنين.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. فيها أن الله لم يتجل للجبل إلا قدر الخنصر وذلك لعظمته تعالى.
2. فيها أن الدك بمعنى التراب.

¹ سورة الأعراف: 143.

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 284.

3. فيها أن الاختلاف يقع بين الصحابة في تفسير بعض الألفاظ القرآنية وقد يكون ذلك اختلاف تضاد يحتاج إلى الترجيح.

4. إثبات صفة التجلي لله تعالى، كما جاء في النص القرآني والحديث عن تجلي الله للجبل، وهو تجل يليق بجلاله لا يشبه صفات المخلوقين.

5. تأدب موسى عليه السلام مع الله، حيث قال عند الإفاقة سبحانه تبت إليك، مع أنه لم يرتكب ذنباً.

7. لفظ (الإفاقة) يدل على وقوع الغشيان قبله أو الموت:

قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ¹.

قال ابن كثير: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يُصَعِّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٍ بِقَائِمَةٍ² مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَوْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ» لَفْظُ الْبُخَارِيِّ³.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان أن الإفاقة قد تكون بعد الموت، إن كان استعمالها بعد الغشي أكثر وأغلب، وقوله تعالى ﴿فلما أفاق﴾ يحتمل أن موسى -عليه السلام- صار مغشياً عليه، هو الصحيح، ما يحتمل أنه مات ثم أحياه الله، هذا احتمال بعيد.

«لا تخيروني»، أي: لا تفضلوني على موسى تخيراً يؤدي إلى تنقيصه، أو تخيراً يفضي بكم إلى الخصومة، وقيل: إن كرهه ﷺ للمفاضلة بين الأنبياء هو تواضع منه ﷺ، وحتى لا يكون هناك نزاع في ذلك؛ فتكون مدخلا للشيطان، ثم بين رسول الله ﷺ فضل موسى عليه السلام ومكانته، وذكر أن الناس يغمى عليهم من الفرع يوم القيامة، ومنهم النبي ﷺ، وذلك عند النفخ في الصور أول مرة، فإذا نفخ في الصور المرة الثانية -وهي نفخة البعث والإحياء للموتى- يكون النبي ﷺ أول من يبعث، قال: «فإذا موسى باطش جانب العرش»، أي: قابض عليه بيده، فلا أدري كان فيمن صعق فأفاق قبلي، فيكون ذلك له فضيلة ظاهرة، أو كان ممن استثنى

¹ سورة الأعراف: 143.

² والقائمة: واحدة قوائيم الدواب. (الصحيح للجوهري)، ج 5، ص 2018.

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 284.

الله في قوله تعالى: ﴿فَصَعَقَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾¹، فلم يصعق؛ فهي فضيلة أيضا.

وعرش الرحمن هو أعظم المخلوقات، له قوائم، وله حملة من الملائكة يحملونه، استوى عليه الرحمن جل في علاه، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾² واستواؤه جل وعلا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته، ولا يعلم الكيفية إلا الله، وكل ما خطر بالعقل فالله منزّه عنه.

● ما يستفاد من المروية:

1. التخيير المنهي عنه بين الأنبياء هو التخيير الحامل على التنقيص، وإلا فالترتيب بينهم ثابت في القرآن.
2. ما كان عليه النبي ﷺ من كمال التواضع، وكمال الاحترام لإخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مع أنه سيدهم وإمامهم.
3. فضيلة موسى عليه السلام، حيث اختص بهذه الفضيلة، وقد يختص المفضل بما ليس في الأفضل.
4. صحة استعداد الذمي على المسلم، ورفعته إلى الحاكم، وسماع الحاكم دعواه.
5. وفي الحديث: فضل موسى عليه السلام.

8. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾³.
- قال ابن كثير: ففي الصحيح أن الله كتب له التوراة بيده وفيها مواعظ عن الآثام⁴ وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام.⁵

¹ الزمر: 68.

² طه: 5.

³ سورة الأعراف: 145.

⁴ جمع اثم كغناهان (فرهنگ نهج البلاغه ، ص54).

⁵ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 285. صح في السنة النبوية الصحيحة أن الله تعالى كتب التوراة بيده، من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اخْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا حَبِيبُنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَمْرَ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى. ثلاثاً) رواه البخاري (6614)، ومسلم (2652)، وفي رواية عنده (كَتَبَ لَكَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ) ورواه أبو داود (4701)، وابن ماجه (80) وغيرهما بلفظ: (وخطَّ لك التَّوْرَةَ بِيَدِهِ).

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير رحمه الله هذه المروية لتأكيد قوله ﴿وكتبنا﴾ أو لتفسيره على فرض تسليم أنه من مجمل كتاب الله، يحتمل أن الله كتب له التوراة بيده، وأمر الملائكة فكتبت له، والحديث يعين المعنى الأول، وهذا الحديث أورده مسلم رحمه الله في صحيحه 1 - اِخْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيْبَتْنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَحَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتُلُومُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ وَابْنِ عَبَّادَةَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: حُطَّ، وَقَالَ الْآخَرُ: كَتَبَ لَكَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ.

وفي هذه الآية يخبر تعالى أنه قال لموسى: إنه اختاره وفضله على أهل زمانه، بإرساله إلى بني إسرائيل، وتكليمه إياه بلا واسطة، وأمره أن يأخذ ما آتاه من التوراة ويتمسك بها، وأن يكون من الشاكرين.

وأخبر تعالى أنه كتب له في الألواح المشتملة على التوراة كل شيء يحتاج إليه أمته في دينها، وموعظة، وتفصيلا لكل شيء مما يحتاج إلى تبينه، وأمره أن يتمسك بما كتب له بقوة، وأن يأمر قومه أن يتمسكوا بأحسن ما في التوراة، ثم قال تعالى: سأريكم دار من عصاني، وخالف أمري.

ثانيا: أما لفظ: (لم يخلق الله بيده غير ثلاث...) فهو من كلام كعب الأخبار، كما رواه عبد الرزاق في "التفسير" (2 / 412)، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)، قال: كُتِبَ: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثَةً: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَالتَّوْرَةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ ...".

وروي مرفوعا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وموقوفا بأسانيد لا تصح، من ذلك: ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في "السنة" (2 / 484 - 485)، عن حسن بن أبي جعفر، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهزيان، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده، وسائر ذلك قال: له كن فكان، خلق القلم بيده، وآدم بيده، والتوراة كتبها بيده، وجنت عَدْنٍ بيده).

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف حسن بن أبي جعفر. ورواه أبو الشيخ في "العظمة" (5/1555)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (2/125)، والدارقطني في "الصفات" (ص26 - 27)، وغيرهما: عن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةً أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفُرْدَوْسَ بِيَدِهِ).

وهذا الإسناد ضعيف لإرساله، قال البيهقي عقب روايته للحديث: "هذا مرسل". قال العلائي رحمه الله تعالى: "عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ...".

ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأتي به فحنكه ودعا له، ذكره بن عبد البر في الصحابة كذلك. ولا صحة له بل ولا رؤية. وحديثه مرسل قطعا " انتهى من "جامع التحصيل" (ص208).

ولجهالة حال عون بن عبد الله بن الحارث. فالخاصل، أنه لا يثبت نص من الوحي يصف التوراة بأنها مخلوقة.

وعلى فرض ثبوت هذه الأخبار، فيكون إطلاق خلق اليد، على كتابة الله جل جلاله التوراة لموسى بيده، من باب: التغليب، لما كان الأمران المذكوران مع كتابة التوراة، مخلوقين باليد، جمع الثلاثة بلفظ: "خلق"، والمراد في التوراة: الكتابة، وإنما هي كلام الله غير مخلوق.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1- قوله تعالى: ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾، أمر الله تعالى لموسى بأخذ ما آتاه، والشكر على الاصطفاء والعطاء، هو أمر التعليم والتوجيه لما ينبغي أن تقابل به نعمة الله. والرسول - صلوات الله وسلامه عليهم - قدوة للناس، وللناس فيهم أسوة، وعلى الناس أن يأخذوا ما آتاهم الله بالقبول والقناعة والرضا بعطاء الله والشكر عليه؛ استزادة من النعمة، وإصلاحاً للقلب، وتحزراً من البطر، واتصالاً بالله، فقلوله تعالى: ﴿فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ فيه تأديب وتقنيع، وحمل على جادة السلامة، ومثال لكل أحد في حاله، فإن جميع النعم من عنده بمقدار، وكل الأمور بمراى من الله ومسمع.

2- الكتاب الإلهي يجب أخذه بقوة وإرادة وجد وعزيمة؛ لتنفيذ ما هدى إليه من الإصلاح، وتكوين الأمة تكويناً جديداً صالحاً، ويتأكد ذلك في الداعي إليه، والمنفذ له بقوله وعمله؛ ليكون لقومه فيه أسوة حسنة؛ يرشد إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾.

المبحث الثالث

قصة عبادة العجل في غيبة موسى - عليه السلام -

1. بيان معنى الجسد في الآية:

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾¹.
قال ابن كثير: وَيُقَالُ إِنَّهُ اسْتَحَالَ عِجْلًا جَسَدًا أَيَّ لَحْمًا وَدَمًا حَيًّا يَخُورُ²،³ قَالَهُ قَتَادَةُ⁴.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير - رحمه الله - هذه المروية لبيان معنى الجسد في الآية وأن المراد به صيرورته لحما ودما حيا يخور. يخبر تعالى أن قوم موسى صنعوا بعد ذهابه لميقات ربه من حليهم عجلا جسدا لا روح فيه، له صوت البقر، فعبده من دون الله؛ ألم ير هؤلاء القوم أن هذا العجل الذي عبده لا يكلمهم، ولا يرشداهم إلى خير؟! اتخذوه وكانوا ظالمين.

ولما ندم بنو إسرائيل ندما شديدا على اتخاذهم العجل معبودا من دون الله، بعد عودة موسى - عليه السلام - إليهم، ورأوا أنهم قد انحرَفوا عن الطريق القويم؛ قالوا: ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ذنوبنا لنكونن من الخاسرين﴾. ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ أي: فأخرج السامري لبني إسرائيل من الحلي التي قذفوها في النار عجلا جسدا، له صوت البقر.⁵

كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾⁶.
﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ أي: فقالوا: هذا العجل هو معبودكم ومعبود موسى الذي غفل عنه موسى هاهنا، وذهب إلى الجبل ليطلبه!⁷

¹ سورة طه: 88.

² صَاح (الصحيح (للجوهرى)، ج 2، ص 651).

³ أي: صوت البقر، وقد يستعار للبعير، وأصل (خور): يدل على صوت، ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (2/227).

⁴ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 287.

⁵ ينظر: تفسير ابن الجوزي (2/155)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (5/218، 219)، تفسير الشوكاني (3/449)، تفسير ابن عاشور (16/286).

⁶ الأعراف: 148.

⁷ ينظر: تفسير ابن جرير (16/140، 143)، الوجيز للواحدي (ص: 703)، إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) المحقق: محمد حامد الفقي [ت ١٣٧٨ هـ] الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية (301، 300/2).

والمراد بالمروية تبين حال العجل الذي أخرجه السامري لقوم موسى، وأنه كان مجرد تمثال له صوت خادع، وليس لها حقيقة، فكان سببا لفتنتهم وعبادتهم له.

● ما يستفاد من المروية

1. خطر اتباع الهوى والجهل بالدين، عبد بنو إسرائيل العجل رغم وضوح التوحيد.
2. أن الفتنة قد تأتي من أقرب الناس، فالسامري كان من بني إسرائيل لكنه كان سبب الفتنة.
3. أن الصوت والمظهر قد يفتن الناس.
4. بيان ضعف الإنسان أمام الشبهات.

2. الإخبار عن عبادة قوم موسى عليه السلام بطريقتين الإخبار والمعاينة:

قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَفْتُلُونِي ۖ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾¹

قال ابن كثير: وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِمْ وَرَأَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ وَمَعَهُ الْأَلْوَحُ الْمُتَضَمِّنَةُ التَّوْرَةَ أَلْقَاهَا فَيُقَالُ إِنَّهُ كَسَرَهَا، وَهَكَذَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَهُ غَيْرَهَا وَلَيْسَ فِي اللَّفْظِ الْقُرْآنِيُّ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ أَلْقَاهَا حِينَ عَايَنَ² مَا عَايَنَ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَهْمَا كَانَا لَوْحَيْنِ وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّهَا أَلْوَحٌ مُتَعَدِدَةٌ وَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِمُجَرَّدِ الْخَبَرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ فَأَمَرَهُ بِمُعَايَنَةِ ذَلِكَ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَعَنَّفَهُمْ وَوَجَّهَهُمْ وَهَجَّهَهُمْ فِي صَنِيعِهِمْ هَذَا الْقَبِيحِ فَأَعْتَذَرُوا إِلَيْهِ بِمَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ قَالُوا إِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَانَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ³.

● التحليل والمناقشة:

¹ الأعراف: 150.

² رأى بالعين المجردة، أَبْصَرَ وَتَحَقَّقَ بِنَفْسِهِ: «عَايَنَ الْأَفَقَ» || أَجْرَى خَيْرَةً: «عَايَنَ الْأَثَاثَ» || أَجْرَى كَشْفًا: «عَايَنَ سَفِينَةً» || إِطَّلَعَ عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرٍ، وَقَفَ عَلَى وَاقِعٍ أَمْرٍ: «عَايَنَ حَالَةَ الْمَنْزِلِ» || لَاحَظْ، شَاهَدَ: «عَايَنَ فَلَانًا وَشَطَّ حَشْدًا» (المنجد في اللغة العربية المعاصرة , ص1041)

³أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 287. أخرجه أحمد ج 1 ص 215 رقم الحديث 1842 والحاكم ج 2 ص 351 رقم الحديث 3250 وقال صحيح على شرط الشيخين. قال السخاوي وقول ابن عدي إن هشيمًا لم يسمعه من أبي بشر وإنما سمعه من أبي عوانة فدلّس لا يمنع صحته.

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية أن الله لما أخبر عن إحداث قومه عبادة العجل بطريقين أولهما الخبر، ثانيهما المعاينة، حتى يتيقن من ذلك تيقنا كاملا أن المعاينة ليست كالخبر، ومن عاين شيئا ليس كمن سمعه فقط.

يخبر تعالى أنه لما رجع موسى من مناجاة ربه جل وعلا إلى قومه، وهو شديد الغضب حزينا؛ لأن الله قد أخبره أن قومه عبدوا العجل من بعده، قال لهم: بئس الخلافة التي خلفتموني من بعدي؛ أستعجلتم مجيئي إليكم من مناجاة الله قبل الوقت الذي قدره الله تعالى لتمام الموعد؟! ورمى موسى عليه السلام الألواح، وأخذ يجر شعر أخيه هارون بشدة وغضب، فقال له هارون: يا ابن أُمي، إن القوم الذين عبدوا العجل استضعفوني، وأوشكوا أن يقتلوني، فلا تشمت بي الأعداء عبدة العجل بضربي وإهانتني، ولا تجعلني مع القوم الظالمين.

قال موسى عليه السلام: ﴿رب اغفر لي ولأخي ذنوبنا، وأدخلنا في رحمتك، وأنت أرحم الراحمين﴾.

ثم أخبر تعالى أن الذين اتخذوا العجل سيصيبهم غضب من الله، وهوان في الحياة الدنيا، وكذلك يجزي سبحانه المفتريين، والذين عملوا السيئات، ثم أنابوا إلى ربهم، وندموا وأقلعوا عنها، وآمنوا، سيعفو الله لهم من بعدها ويرحمهم؛ فإنه غفور رحيم.

● ما يستفاد من المروية

1. أن الإخبار بالشيء يختلف في التأثير عن مشاهدته بعين الإنسان.
2. جواز إظهار الغضب في موضع انتهاك حرمة من حرمت الله.
3. دقة القرآن في تصوير الأحداث من جميع جوانبها.

3. بيان كيفية إحراق موسى -عليه السلام- للعجل:

قال تعالى: ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلِفَهُۥ وَلَنْظُرَ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾.¹

قال ابن كثير: فَعَمَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ هَذَا الْعَجَل فَحَرَقَهُ بِالنَّارِ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ، وَقِيلَ بِالْبَارِدِ كَمَا قَالَهُ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمْ.

● التحليل والمناقشة:

¹ سورة طه: 97.

أورد ابن كثير - رحمه الله - هذه المروية لبيان كيفية إحراق موسى - عليه السلام - العجل، اختلفت أقوال المفسرين في ذلك، ذهب قتادة إلى أنه حرقه بالنار، قال علي وابن عباس: حرقه بالبارد.

يخبر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه بعد أن انتهى من سماع اعتذار أخيه هارون، اتجه إلى السامري أصل الفتنة، فسأله موبخاً له: فما شأنك يا سامري، وما الذي حملك على ما صنعت؟ قال السامري: رأيت ما لم ير بنو إسرائيل، وعلمت ما لم يعلموا، فأخذت بكفي تراباً من أثر حافر فرس جبريل، فألقيته على الحلي الذي صنعت منه العجل، فكان عجلاً جسداً له خوار، وكذلك زينت لي نفسي.

قال موسى للسامري: فاذهب، فإن لك مدة حياتك الدنيا أن تعيش منبواً قائلاً لكل أحد: لا أمس ولا أمس؛ عقوبة لك على إضلالك بني إسرائيل، وإن لك موعداً لعذابك لن يخلفك الله إياه، وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته، لنحرقه في النار، ثم لنفرق أجزائه في البحر تفريقاً لا يبقى معه شيء منه. إنما إلهكم هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو، وسع علمه كل شيء.

● ما يستفاد من الآية والمروية:

1- قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي، وهجرانهم، وألا يُخالطوا.¹

2- مرتبة تغيير المنكر باليد سنّها أبو الأنبياء إبراهيم، حين راغ على تلك الأوثان ضرباً باليمين حتى جعلها جذاداً وخطّمها تحطيماً، وتبعه فيها موسى حينما قال للسامري: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾، وتبعهما ختاهما وأفضلهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم، فخطّم أوثان العرب المحيطة بمكة، وأرسل أصحابه يهدمونها في كل حي.²

3- قول الله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ قد يستدل به على جواز إتلاف الحيوان إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك، ومنه قتل البهيمة المفعول بها، وهذا على اعتبار أن العجل كان حقيقياً.³

4- أهمية اتباع أوامر الله دون تأخير كما أمر الله موسى بالذهاب لإحراق العجل وهو فعل فوري.

5- فيها التأكيد على مفهوم التوبة الجماعية والفردية بإحراق العجل ليس فقط رمزا لنبد الشرك بل دعوة لتطهير النفس والجماعة من الذنوب حيث يأخذ القادة مسؤولية إصلاح الخطأ الجماعي أمام الله.

¹ يُنظر: تفسير القرطبي (241/11).

² يُنظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (ت ١٣٨٥هـ) جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي. الناشر: دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ (396/1).

³ يُنظر: الإكليل للسيوطي (ص: 177).

4. وقت عبادة بني إسرائيل العجل:

قال الله تعالى ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾¹.
قال ابن كثير: وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي حَدِيثِ الْفُتُونِ كَمَا سَيَأْتِي أَنَّ عِبَادَتَهُمُ الْعِجْلَ كَانَتْ عَلَىٰ أَثَرِ خُرُوجِهِمْ² مِنَ الْبَحْرِ وَمَا هُوَ بِبَعِيدٍ لَّهُمْ حِينَ خَرَجُوا قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ³.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان وقت عبادة بني إسرائيل العجل وأنهم عبدوا العجل بعد ما أنجاهم الله وأهلك عدوهم والقرينة المؤيدة لهذا طلبهم من موسى -عليه السلام- بعد الخروج أن يجعل لهم إلها. ويذكر ابن كثير أن هذه الرواية توضح التوقيت الدقيق لعبادتهم العجل وأنها كانت بعد خروجهم من البحر وليس بعد أن ذهب موسى عليه السلام للميقات فقط. ويتحدث عن الفتنة المفاجئة اليت وقعت في بني إسرائيل بعد النعمة العظيمة بنجاتهم ووقوعهم بسرعة في الشرك.

● ما يستفاد من المروية

1. ضعف النفس البشري أمام الفتنة حتى بعد رؤية المعجزات يمكن أن تضل القلوب سريعا إن لم ترب على التوحيد.
2. اختبار الإيمان لا يتوقف فنجاتهم من فرعون كانت نعمة لكن فتنهم بالعجل كانت اختبارا.

5. تفصيل قصة سبعين رجلا اختارهم موسى لميقات الله:

قال الله تعالى ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾⁴.

¹ طه: 40.

² أي بعده.

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 288.

⁴ [سورة الأعراف: 155].

قال ابن كثير: ذَكَرَ السُّدِّيُّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْرُهُمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ كَانُوا عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَعَهُمْ مُوسَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ وَنَادَابُ وَأَيُّهُو ذَهَبُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَعْتَذِرُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عِبَادَةِ مَنْ عَبَدَ مِنْهُمْ الْعِجْلَ وَكَانُوا قَدْ أَمَرُوا أَنْ يَتَّصِفُوا وَيَتَطَهَّرُوا وَيَغْتَسِلُوا فَلَمَّا ذَهَبُوا مَعَهُ وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْجَبَلِ وَعَلَيْهِ الْعَمَامُ وَعَمُودُ النُّورِ سَاطِعٌ وَصَعِدَ مُوسَى الْجَبَلَ فَذَكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ وَهَذَا قَدْ وَافَقَهُمْ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَحَمَلُوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وَلَيْسَ هَذَا بِإِلَازِمٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَأَجِزْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ أَيْ مُبَلَّغًا وَهَكَذَا هَؤُلَاءِ سَمِعُوهُ مُبَلَّغًا مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَعَمُوا أَيْضًا أَنَّ السَّبْعِينَ رَأَوْا اللَّهَ وَهَذَا غَلَطٌ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمَّا سَأَلُوا الرُّؤْيَا أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾¹.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير - رحمه الله - هذه المروية لتفصيل دقيق لقصة سبعين رجلاً اختارهم الله لمليقات الله، وسبب خروجهم مع موسى - عليه السلام - اعتذارهم عن بني إسرائيل في عبادة العجل، أنهم سمعوا كلام الله من موسى - عليه السلام - ولم يعاينوه ورجح ابن كثير أنهم لم يروا الله فرد على زعم من يزعم رؤيتهم الله.

يخبر تعالى أنه لما سكن غضب موسى عليه السلام أخذ الألواح التي كان ألقاها، وفي نسختها هداية من الضلالة، ورحمة من العذاب للذين هم يخافون ربهم ويخشونه.

واختار موسى من قومه سبعين رجلاً لمليقات وقته الله لهم، فلما أخذت هؤلاء السبعين الزلزلة الشديدة، قال موسى لربه: يا رب، لو شئت لأهلكتهم من قبل، وأهلكني معهم، أهلكنا بما فعله السفهاء منا بعبادتهم العجل؟! وما عبادة هؤلاء السفهاء للعجل إلا ابتلاء منك لهم؛ تضل به من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت ناصرنا ومتولي أمورنا، فاغفر لنا، وارحمنا، وأنت خير من غفر، واكتب لنا في الحياة الدنيا حالة حسنة، وفي الآخرة، إنا تبنا إليك.

قال تعالى مجيباً موسى عليه السلام: عذابي في الدنيا أصيب به من أشاء، ورحمتي في الدنيا وسعت كل خلقي، فسأكتبها للذين يتقون، ويعطون الزكاة المفروضة عليهم، والذين يؤمنون بأياتي، الذين يتبعون محمداً الرسول النبي، الذي لا يقرأ ولا يكتب، الذي يجدونه مذكوراً عندهم في التوراة والإنجيل بصفاته الواضحة، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويذهب عنهم التكالييف الشاقة التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعظموه ونصروه، واتبعوا القرآن الذي أنزله الله إليه، فأولئك هم المفلحون.

¹ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 289.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. مشروعية الشفاعة وأنها فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط عن الباقين.
2. استحباب التطيب والتطهر عند عبادة الله أو الذهاب إلى أماكن العبادة.
3. استحالة رؤية الله في الدنيا.

6. السبب الباعث على أخذ الله بني إسرائيل بالرجفة:

قال الله تعالى ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَهْلَكْتَنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾¹.

قال ابن كثير: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ² وَمُجَاهِدٌ³ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ⁴ إِنَّمَا أَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ⁵ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْهَوْا قَوْمَهُمْ عَنِ عِبَادَةِ الْعِجَلِ⁶.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير - رحمه الله - هذه المروية لبيان السبب الباعث على أخذهم الله بالرجفة وأنها لم ينهوا قومهم عن الشرك، صفة المؤمن أن يكون ناهيا عن المنكرات وإذا رأى المنكر ولم ينه عنه مع القدرة على النهي فهو كفعله، أن السكوت يدل على الرضا.

ومعنى الآية أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلا لوقت وقته الله لهم؛ ليحضروا فيه إلى مكان معين فلما أصابت الزلزلة الشديدة السبعين الذين مع موسى، فصعقوا أو ماتوا قال موسى متضرعا لربه: يا رب، لو شئت إهلاك هؤلاء السبعين لأهلكتهم من قبل هذا الوقت، وأمتني معهم، وذلك على مرأى من قومنا؛ حتى لا يتهموني؛ فماذا أقول لبني إسرائيل إذا لقيتهم وقد أهلكت خيارهم؟! فإن إهلاكهم في هذا الوقت أدعى لاتهمهم لي وإيذائي سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه سؤال استعلام مع تذلل واستعطاف: أتصيبنا بالهلاك بسبب ما فعله ضعفاء العقول منا بعبادتهم العجل؟! قال موسى معتذرا لربه: ما عبادة قومي للعجل إلا ابتلاء

¹ [الأعراف: 155].

² أورده الطبري في تفسيره ٤٧٢/١٠ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا عوف، قال: ثنا سعيد بن حيان، عن ابن عباس.

³ أورده الطبري في تفسيره ٤٧٢/١٠ حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: قال مجاهد.

⁴ أورده ابن جرير في تفسيره قال ٤٧٢/١٠ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج.

⁵ ابن الأنباري: الرجفة معها تحريك الأرض (لسان العرب، ج 9، ص 113).

⁶ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 289.

واختبار منك لهم، قدرته عليهم؛ ليتبين الضال منهم من المهتدي. أنت وحدك - يا ربنا - ناصرنا، ومتولي أمورنا فاستر ذنوبنا، ولا تعاقبنا عليها، وتعطف علينا برحمتك وأنت - يا ربنا - خير من يستر الذنوب، ويتجاوز عن المؤاخذة بالنقائص والعيوب.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. وجوب النهي عن المنكرات.
2. فيها أن الله يرد منا أن نكون مصلحين لا صالحين وأن الصالح قد يهلك مع الظالمين.
3. فيها أن عدم القيام بتغيير المنكرات مفض إلى عذاب الله.

7. بيان معنى الفتنة في الآية الكريمة:

قال الله تعالى ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ إِنَّكَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۖ﴾¹

قال ابن كثير: قَوْلُهُ ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أَيِ اخْتِبَارِكَ وَإِتِّبِلَاؤِكَ وَامْتِحَانِكَ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَعَبِيدُ بْنُ وَحِيدٍ وَوَاحِدٌ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، يَعْنِي أَنَّ الَّذِي فَدَّرْتَ هَذَا وَخَلَقْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعِجْلِ اخْتِبَارًا تَحْتَبِرُهُمْ².

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لبيان معنى الافتتان في الآية الكريمة وأنه بمعنى الاختبار، في الآية أن علماء بني إسرائيل خاطبوا الله قائلين إن عبادة قومنا العجل كان سفها منهم، لا تهلكنا بما صدر من سفهه فينا، إنك قد أوقعتهم في ذلك حتى تختبر إيمانهم هل هم يميلون إلى الشرك أم ثابتون على التوحيد.

يخبر تعالى أنه لما سكن غضب موسى عليه السلام أخذ الألواح التي كان ألقاها، وفي نسختها هداية من الضلالة، ورحمة من العذاب للذين هم يخافون ربهم ويخشونه.

واختار موسى من قومه سبعين رجلا لميقات وقته الله لهم، فلما أخذت هؤلاء السبعين الزلزلة الشديدة، قال موسى لربه: يا رب، لو شئت لأهلكتهم من قبل، وأهلكني معهم، أهلكنا بما فعله السفهاء منا بعبادتهم العجل؟! وما عبادة هؤلاء السفهاء للعجل إلا ابتلاء منك لهم؛ تضل به من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت

¹ [الأعراف: 155].

² أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 289.

ناصرنا ومتولي أمورنا، فاغفر لنا، وارحمنا، وأنت خير من غفر، واكتب لنا في الحياة الدنيا حالة حسنة، وفي الآخرة، إنا تبنا إليك.

قال تعالى مجيباً موسى عليه السلام: عذابي في الدنيا أصيب به من أشاء، ورحمتي في الدنيا وسعت كل خلقي، فسأكتبها للذين يتقون، ويعطون الزكاة المفروضة عليهم، والذين يؤمنون بآياتي، الذين يتبعون محمداً الرسول النبي، الذي لا يقرأ ولا يكتب، الذي يجدونه مذكوراً عندهم في التوراة والإنجيل بصفاته الواضحة، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويذهب عنهم التكاليف الشاقة التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعظموه ونصروه، واتبعوا القرآن الذي أنزله الله إليه، فأولئك هم المفلحون.

وفي هذه المروية ذكر السلف أن عبادتهم العجل كانت بقدر الله وأن الله يقدر الشر ليختبر به إيمان العبد والتقدير سواء كان خيراً أو شراً يكون من جانب الله.

● ما يستفاد من الآية والرواية

1. قد يهلك الله الصالحين لعدم إنكارهم على فعل السفهاء من قومهم.
2. إن الوقوع في المعاصي اختبار من الله لإيمان الفاعل.
3. التوسل إلى الله بأسماءه الحسنى أثناء الدعاء ﴿أنت ولينا فاغفر لنا﴾.

8. إيضاح معنى (هدنا) في الآية الكريمة:

قال الله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ﴾ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۖ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ¹.

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿إِنَّا هُدَّنَا² إِلَيْكَ﴾ أَي تَبَّنَا إِلَيْكَ وَرَجَعْنَا وَأَنْبَنَّا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَإِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ وَعَيْرٌ وَاحِدٌ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي اللَّغَةِ³.

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير - رحمه الله - هذه المروية لبيان معنى ﴿هدنا﴾ وهو بمعنى التوبة والرجوع هنا، الهداية وإن كانت بمعنى الإرشاد لكن إذا تعدي بحرف (إلى) تغير معناه.

¹ [الأعراف: 156].

² تاب ورجع إلى الحق يقال «هاد المذنب إلى الله» فهو (هايد) (ج) هُودٌ | | دخل في اليهودية (أقرب الموارد، ج 5، ص 657).

³ أورده ابن كثير في البداية ج 1 ص 290.

يخبر تعالى أنه لما سكن غضب موسى -عليه السلام- أخذ الألواح التي كان ألقاها، وفي نسختها هداية من الضلالة، ورحمة من العذاب للذين هم يخافون ربهم ويخشونه.

واختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقات وقته الله لهم، فلما أخذت هؤلاء السبعين الزلزلة الشديدة، قال موسى لربه: يا رب، لو شئت لأهلكتهم من قبل، وأهلكني معهم، أهلكنا بما فعله السفهاء منا بعبادتهم العجل؟! وما عبادة هؤلاء السفهاء للعجل إلا ابتلاء منك لهم؛ تضل به من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت ناصرنا ومتولي أمورنا، فاغفر لنا، وارحمنا، وأنت خير من غفر، واكتب لنا في الحياة الدنيا حالة حسنة، وفي الآخرة، إنا تبنا إليك.

قال تعالى مجيباً موسى -عليه السلام-: عذابي في الدنيا أصيب به من أشاء، ورحمتي في الدنيا وسعت كل خلقي، فسأكتبها للذين يتقون، ويعطون الزكاة المفروضة عليهم، والذين يؤمنون بآياتي، الذين يتبعون محمداً الرسول النبي، الذي لا يقرأ ولا يكتب، الذي يجدونه مذكوراً عندهم في التوراة والإنجيل بصفاته الواضحة، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويذهب عنهم التكليف الشاقة التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعظموه ونصروه، واتبعوا القرآن الذي أنزله الله إليه، فأولئك هم المفلحون.

وقوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ أي: ورحمتي عمت في الدنيا جميع خلقي.

كما قال الله تعالى حاكياً قول حملة العرش من الملائكة: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾.¹

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: «إن لله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس، والبهائم والهوام؛ فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».²

وعن سلمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مئة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة».³

● ما يستفاد من المروية:

¹ [غافر: 7].

² رواه مسلم كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله رقم الحديث (2752).

³ رواه مسلم نفس الكتاب ونفس الباب (2753).

1- ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص في الدنيا إلا وهو متقلب في نعمة الله تعالى؛ يبين ذلك قوله تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء؛ فرحمة الله أوسع من ذلك الكون الهائل الذي خلقه، والذي لا يدرك البشر مداه.¹

2- أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله تعالى، يبين ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِي نَسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾؛ فليس كل أحد يقبل هدى الله ورحمته، وإنما يقبل ذلك وينقاد له، ويتلقاه بالقبول الذين يخافون من الله تعالى ويخشونه، وأما من لم يخف الله، ولا المقام بين يديه، فإنه لا يزداد بها إلا عتوا ونفورا، وتقوم عليه حجة الله فيها.²

9. سعة رحمة الله تعالى:

قال الله تعالى ﴿وَاكْتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ ۖ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾³.

قال ابن كثير: قوله ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي أنا أعذب من شئت بما أشاء من الأمور التي أحلقتها وأقدرها ورحمتي وسعت كل شيء كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ».⁴

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لذكر سعة رحمة الله وفي الآية التجاء بني إسرائيل من الله عز وجل أنهم اعترفوا بما وقع منهم فسألوا الله أن يكتب لهم حسنة في الدنيا والآخرة، أجبوا أن الله يعذب ويرحم ورحمته وسعت كل شيء، كنه تعالى يكتبها للموصوفون بصفة التقوى وإيتاء الزكاة وأهل الإيمان منهم. وفي الحديث أن الله قال بعد فراغه من خلق السماوات والأرض أن رحمته غلبت غضبه.

● ما يستفاد من الآية والرواية:

1. فيها ذكر الأسباب الداعية لرحمة الله وهي التقوى والزكاة والإيمان بآياته.

¹ ينظر: تفسير الشريبي (522/1).

² ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (20/7)، تفسير السعدي (ص: 303).

³ [الأعراف: 156].

⁴ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 290.

2. فيها أن رحمة الله غلبت غضبه، هذا فضل منه حيث يعفو عن كثير.

10: ذكر محتوى المناجاة بين الله تعالى وعبد موسى عليه السلام:

قال تعالى ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا¹﴾².

قال ابن كثير: قَالَ فَتَادَةُ قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي، قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ.³

● التحليل والمناقشة:

أورد ابن كثير -رحمه الله- هذه المروية لإيضاح الكلام الذي أوحاه الله إلى موسى -عليه السلام- وذكر محتوى المناجاة التي تمت حينئذ وهو أن موسى عليه السلام لما عرف خصوصية أمة محمد ﷺ وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر طلب من الله أن يجعلهم أمة، قال الله: تلك أمة أحمد عليه السلام.

يقول الله تعالى مادحا نبيه موسى -عليه السلام-: واذكر -يا محمد- في القرآن لقومك قصة موسى -عليه السلام-، إنه كان مصطفى مختارا، وكان رسولا نبيا، وناديننا موسى من ناحية جبل طور سيناء الواقع على يمين موسى، وقربناه فشرفناه بمناجاتنا له بلا واسطة، ووهبنا لموسى من رحمتنا أخاه هارون نبيا يعينه ويؤازره.

● ما يستفاد من المروية

1- وصف الله تعالى نفسه بالمناداة والمناجاة، في قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ﴾⁴، وقوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَحِمَا﴾⁵، ووصف عبده بالمناداة والمناجاة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁶، وقال: ﴿إِذَا نَادَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾⁷، وقال: ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁸، وليست المناجاة كالمناداة، ولا المناجاة كالمناجاة.⁹

¹ مقاييس اللغة لابن فارس (397/5).

² [مریم: 52].

³ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج 1 ص 290.

⁴ [القصص: 62].

⁵ [الأعراف: 22].

⁶ [الحجرات: 4].

⁷ [المجادلة: 12].

⁸ [المجادلة: 9].

⁹ ينظر: التدمرية لابن تيمية (ص: 27).

- 2- قال الله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً﴾ ذكر مناداته لموسى عليه السلام ومناجاته إياه في مواضع من القرآن، ولم يذكر أنه فعل ذلك بغيره من الأنبياء، وهذا مما أجمع عليه المسلمون وأهل الكتاب: أن تكليم الله تعالى لموسى من خصائصه التي فضله بها على غيره من الأنبياء والرسل.¹
- 3- تأكيد خصوصية أمة موسى عليه السلام، حيث دعاهم ليكونوا أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.
- 4- بيان علاقة التوجيه الإلهي بالنبي، فموسى عليه السلام يطلب من الله أن يجعل أمة ملتزمة بالتوحيد.
- 5- إظهار الحوار الروحي بين الله وموسى عليه السلام مما يدل على حرص الأنبياء على هداية أقوامهم.

11. ذكر سؤال الكليم - عليه السلام - ربه:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.²

قال ابن كثير: قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان في صحيحه ذكر سؤال كليم الله ربه عز وجل عن أدنى أهل الجنة وأرفعهم منزلة أخبرنا عمر بن سعيد الطائي بمنبع حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفيان حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن ابجر شيخان صالحان سمعنا الشعبي يقول سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر عن النبي ﷺ «إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أي أهل الجنة أدنى منزلة فقال رجل يحيى بعد ما يدخل أهل الجنة فيقال أدخل الجنة فيقول كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا إخاذاتهم فيقال له ترضى أن يكون لك من الجنة مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا، فيقول نعم أي رب فيقال لك هذا ومثله ومثله فيقول أي رب رضيت فيقال له لك مع هذا ما اشتئت نفسك ولدت عينك وسأل ربه أي أهل الجنة أرفع منزلة قال سأحدثك عنهم غرست³ كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.⁴

● التحليل والمناقشة:

¹ ينظر: بغية المرئاد لابن تيمية (ص: 382). وقد كلم الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (354/9، 355).

² السجدة ١٧.

³ «غَرْسًا و غِرَاسَةً: زَرَعَ، أَثْبَتَ فِي الْأَرْضِ: «غَرْسَ أَشْجَارًا» || رَسَخَ، ثَبَتَ، طَبَعَ فِي الدِّهْنِ: «غَرْسَ فِيهِ عَوَاطِفَ»، «غَرْسَ فِكْرَةً فِي عَقْلِ فُلَانٍ» || أَدْخَلَ فِي نَفْسِهِ عَلَى نَحْوِ ثَابِتٍ عَمِيقٍ: «غَرْسَ فِي نَفْسِهِ مَجْمُوعَةً مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ» (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص 1050)

⁴ أورده ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٠. وهو في صحيح ابن حبان (٦٢١٦)، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق. وفي صحيح مسلم ١٨٩ في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، وفي سنن الترمذي (٣١٩٨) في التفسير، باب ومن سورة السجدة.

أورد ابن كثير - رحمه الله - هذه المروية لما فيها شرح وتفصيل لقوله تعالى ﴿من قرأ عين﴾ وفي الرواية ذكر أرفع أهل الجنة أنهم الذين غرست كرامتهم الله بيده وختم عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

يقول تعالى مبينا أحوال المؤمنين الصادقين، وما أعد لهم من ثواب: ﴿إنما يؤمن بآيات الله الذين إذا ذكروا بها خروا إلى الأرض ساقطين على وجوههم سجدا﴾؛ خضوعا لربهم، وإقرارا بعبوديته سبحانه، ونزهوا الله تعالى في سجودهم عن كل النقائص والعيوب، وهم لا يستكبرون.

تتباعد جنوبهم عن فرشهم، ويتركون النوم لمناجاة ربهم؛ خوفا من عذابه، وطمعا في ثوابه، وينفقون مما رزقهم الله تعالى، فلا يعلم أي أحد ما أخفى الله لأولئك المؤمنين مما تقرر به أعينهم من النعيم؛ ثوابا لهم بما كانوا يعملونه من الصالحات.

والمروية تعرض حوارا روحانيا بين الله تعالى وموسى عليه السلام، حيث يخبر الله موسى عن أمة خير أمته، وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، والمروية تبرز العلاقة الخاصة بين الله وموسى وتوضح أهمية أمة محمد صلى الله عليه وسلم ودورها في الدعوة إلى الخير، كما تؤكد أن المناجاة بين الله وعبدته تكون تواصلًا روحيا عميقا وليس مجرد نداء عادي.

● ما يستفاد من المروية:

1. فيها أن الله لا يضيع أجر المحسنين ويجازي بالعمل الصالح أحسن الجزاء.
2. فيها أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يسألون الله عن أرفع الناس منزلة في الجنة حتى يدلوا أمتهم على تلك الأعمال المؤدية.
3. فيها أن في الجنة مراتب وكل مرتبة يمكن الحصول عليها حسب عمل العاملين.

خاتمة البحث

وتشتمل خاتمة البحث على:

أولاً: نتائج البحث

ثانياً: التوصيات

خاتمة

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد!

بعد هذه الرحلة العلمية، وبعد الاطلاع على الكتب والمصادر، وخاصة الكتاب "البداية والنهاية"، نود الإشارة في خاتمة هذه الرسالة إلى أبرز النتائج المستنبطة والفوائد والتوصيات المستخلصة من دراستنا للروايات التفسيرية في البداية والنهاية للإمام ابن كثير رحمه الله (من أول قصة موسى الكليم عليه السلام إلى آخر قصة عبادة العجل في غيبة كليم الله منهم):

أولا: نتائج البحث:

١. إن منهج الإمام ابن كثير -رحمه الله- في إيراد الروايات التفسيرية في تاريخه قريب جدا من منهجه في إيرادها في تفسيره، بما أن الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب هو التاريخ، ذا لم يتعرض فيه الإمام لمناقشة المباحث التفسيرية، ل أشار إليها وأحال القارئ إلى تفسيره، كذلك أحداث الأمم السابقة التي ذكرها في مواضع متفرقة في تفسيره، هو يجمعها في مكان واحد في تاريخه ويذكرها موجزا.

٢. لم يسلك الإمام ابن كثير -رحمه الله- في كتابه منهجا واحدا في إيراد الروايات التفسيرية، مرة يوردها مطولة ومرة يوردها موجزة، عذره في عدم تحديد معالم منهجه هو ضخامة الكتاب وتعدد موضوعاته واختلاف طبيعة الموضوع، استحالة اتباع منهج موحد في التاريخ القديم، لذلك غير منهجه حسب الأدوار التاريخية والأحداث التي تعرض لها في تاريخه.

٣. وجدت بأن الإمام ابن كثير -رحمه الله- لم يذكر في مقدمة لتاريخه ما يخص بمنهجه العام، اللهم إلا الإسرائيليات حيث ذكر من الإسرائيليات ما أذن الشارع في نقلها مما يصدق ولا يكذب، لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ما فيه تفصيل لمختصر، و تسمية لمبهم، قد ذكر في كتابه من الإسرائيليات للاستئناس بها مع بيان بطلانها وفسادها إن كانت فيها من المبالغات أو الخرافات.

٤. أن الروايات التفسيرية التي أوردها الإمام ابن كثير -رحمه الله- تشتمل على الفوائد التفسيرية الهامة في علوم القرآن التي تكشف عن معاني الآيات الكريمة بطرق مختلفة منها: تعيين المبهم، تفصيل الإجمال، أسباب النزول.

5. أن ما أورده ابن كثير -رحمه الله- من الروايات في تاريخه لها مظان في كتب السنة والسير والتواريخ، كتب الصحاح الستة، مسند الإمام أحمد وأبي يعلى وسيرة ابن إسحاق، سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري وتاريخ دمشق وتاريخ لابن عساكر وغيرها من مصادر السنة النبوية.
6. عدد الروايات التي أجريت عليها دراسة في القدر الذي أخرته في الرسالة بلغ: أربعاً وثلاثين رواية مع حذف المكرر والقصص الطويلة.
7. وجدت من خلال الدراسة أن عدد الروايات التفسيرية في بداية الكتاب إلى آخر السيرة النبوية من تاريخ ابن كثير أكثر بالنسبة لما بعدها من الأبواب فإن وجود الروايات التفسيرية فيها نادر.
8. قد ذكر الإمام ابن كثير -رحمه الله- في تاريخه بعض الروايات الضعيفة وأخباراً واهية، خاصة في أخبار الأمم السابقة مع علم بأنه من الروايات الضعيفة والموضوعة لكنه يذكره اتباعاً للمؤرخين السابقين للرد والتنبيه عليه.
9. وجدت من خلال الدراسة أن معظم الروايات التفسيرية اشتملت على تفصيلات لقصة مذكورة في الآيات القرآنية أو أحد جوانبها.
10. تبين لي بأن القصص في القرآن لا يراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص فقط، إنما هي عبرة للناس، أه العبر في هذه القصص هو التنبيه على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، تأثير أعمال الخير والشر في الحياة الإنسانية، لذلك لا يراد في هذه القصص والحوادث الاستقصاء ولا تذكر بالترتيب بل بقدر ما تم به الغرض والمقصود.

ثانياً: التوصيات:

- يعد كتاب البداية والنهاية للإمام ابن كثير -رحمه الله- من المصادر التاريخية الهامة التي لا يستغني عنها الدارس في مجال التاريخ ويعتبر مؤلفه في مجال التاريخ والتفسير والحديث بمنزلة الإمام، كتابه يليق أن يدرس فيه جوانب مختلفة من الفنون، أنه تطرق في تاريخه إلى علوم أخرى من التفسير والحديث والسيرة، جاء كتابه حافلاً جامعاً لموضوعات شتى، ذا وأوصي الإخوة الباحثين في مجال الدراسات القرآنية عقد دراسة على الموضوعات الآتية:
1. المقارنة بين الروايات التفسيرية في البداية والنهاية وتاريخ الطبري.
2. الدخيل في المرويات التفسيرية من خلال تاريخ ابن كثير.
3. منهج نقد الإمام ابن كثير -رحمه الله- للإسرائيليات التفسيرية في تاريخه البداية والنهاية.
- أسأل الله التوفيق للصواب ولا حول ولا قوة إلا بالله، صلى الله على نبينا الكريم وسلم عليه تسليماً كثيراً.

الفهارس الفنية

وتشتمل على الآتي:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الأعلام المترجم لها.
- ٤- فهرس المصادر والمراجع.
- ٥- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

رقم التسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
1	يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ	البقرة	49	24
2	وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِّنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ	البقرة	49	24
3	وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا	النساء	32	43
4	قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ	المائدة	22	91
5	قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا	المائدة	24	93
6	قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي	المائدة	25	92
7	فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ	المائدة	26	93
8	وَنَادَاهُمَا رَهْمًا أَلَمْ أَهْكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ	الأعراف	22	120
9	وَالِئِذَا مَدَّيْنِ أَخَاهُم شَعِيْبًا	الأعراف	85	47
10	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالصَّفَادِعَ وَاللَّمَ	الأعراف	133	66
11	وَجُوزَنَا بَيْنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُمُونَ عَلَى أَصْنَامٍ هُمْ	الأعراف	138	89
12	وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً	الأعراف	142	96
13	وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ	الأعراف	143	98
14	وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً	الأعراف	145	106
15	وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلِيلِهِمْ	الأعراف	148	109
16	وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا	الأعراف	150	110
17	وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا	الأعراف	155	113
18	فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ مِنْ قَوْمِهِ	يونس	83	74
19	وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا	يونس	87	76
20	وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ	يونس	88	77
21	حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ	يونس	90	85
22	ءَاكَلْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ	يونس	91	82

23	فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ۖ	يونس	92	82
24	وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا	هود	37	101
25	قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ	هود	47	102
26	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ	يوسف	3	67
27	قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ	يوسف	55	53
28	لَعِنَ شُكْرُكُمْ لَأَرِيدَنُكُمْ ۚ	إبراهيم	7	66
29	وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائٍ ۖ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا	الكهف	23	56
30	إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ	الكهف	24	45
31	قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا	الكهف	69	49
32	يَأْخُذَتِ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا	مريم	28	88
33	وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ	مريم	52	120
34	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	طه	5	106
35	قَالَ رَبِّ أشرحْ لِي صَدْرِي	طه	25- 28	57
36	أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ	طه	39	31
37	إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ	طه	40	113
38	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ	طه	44	61
39	قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ	طه	63	62
40	قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ	طه	72	63
41	فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ	طه	88	109
42	قَالَ فَأَذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۚ	طه	97	111
43	كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْثَلِينَ	الشعراء	176	45
44	إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ	الشعراء	177	45
45	فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ	القصص	8	37
46	وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِعَا ۖ	القصص	10	30
47	وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ	القصص	11	33
48	﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ	القصص	12	34
49	وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا	القصص	15	38

74	1،20	القصص	وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ	50
75	2،21	القصص	فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ	51
42	23	القصص	وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ	52
40	24	القصص	فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ	53
43	25	القصص	فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ	54
48	26	القصص	يَأْتِيهِمْ ۖ	55
50	9،27	القصص	قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ	56
52	28	القصص	قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ	57
59	33	القصص	قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا	58
120	62	القصص	وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ	59
49	102	الصفات	قَالَ يَأْتِيهِمْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۖ	60
106	68	الزمر	فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ	61
117	7	غافر	رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ	62
65	28	غافر	وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ	63
75	29	غافر	يَقُومَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرِينَ فِي الْأَرْضِ	64
67	33	غافر	يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ	65
43	60	غافر	وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ	66
82	5، 84	غافر	فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ،	67
66	32	الزخرف	أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ	68
73	53	الزخرف	فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ	69

فهرس الأحاديث

1	أنت الذي قدرت هذا وخلقته ما كان	سعيد بن جبير	16
2	أقض بيني وبينهم	ابن عباس	92
3	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الأجلين قضى موسى عليه السلام	أبو ذر	52
4	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت جبريل	ابن عباس	52
5	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فلما تجلى ربه للجبل	أنس	103
6	أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب	الحسن	45
7	أن عبادتهم العجل كانت على أثر خروجهم من البحر	ابن مسعود	113
8	أن صاحب موسى عليه السلام ها اسمه شعيب وكان سيد الماء	ابن مسعود	45
9	أفرس الناس ثلاثة صاحب يوسف	أبو العالية	48
10	أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت		23
11	إن فرعون ملكهم أربعمئة سنة	ابن عباس	24
12	إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض	المغيرة بن شعبة	119
13	إنما أخذتهم الرحمة لأنهم لم ينهوا قومهم	قتادة	115
14	إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أي أهل الجنة	ابن عباس	121
15	إنه استحال عجلا وجسدا أي لحما ودمًا	ابن مسعود	109
16	إن هؤلاء السبعين كانوا علماء بني إسرائيل	ابن عباس	114
17	أنه رآها خضرًا ترف	ابن مسعود	40
18	إنه قال حجاباه نور	أبو موسى	99
19	أنه لما قدم من بلاد مدين دخل على أمه	السدي	61
20	أنهم كانوا أربعين غلامًا من بني إسرائيل	ابن عباس	62
21	بعث الله تعالى شعيبًا	قتادة	45

22	تذاكر فرعون وجلساءه ما كان الله وعد إبراهيم	ابن عباس	23
23	تستر وجهها بكم درعها	عمر	43
24	تطعم وترفه وتغذى بأطيب المأكّل	قتادة	32
25	الثلاثون ليلة هي شهر ذي القعدة بكامله	ابن عباس	96
26	جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده	قتادة	29
27	خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين	أبو واقد	89
28	الرسّل إنّما يسألون بحسب الحاجة	الحسن	58
29	سار من مصر إلى مدين لم يأول إلا البقل	ابن عباس	41
30	ساكننا على هيئة لا تغيره عن هذه الصفة	ابن عباس	79
31	شك بعض بني إسرائيل في موت فرعون	ابن عباس	83
32	شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء يومئذ	الحسن	45
33	فارغا من كل شيء إلا من هم موسى	ابن عباس	27
34	فرغ من كل شيء غير كر موسى	معمر	27
35	فإنه أكبر منك وأشد خلقا	الضحّاك	100
36	فعمد موسى عليه السلام إلى هذا العجل فحرقه بالنار	مجاهد	111
37	قالت الكهنة لفرعون إنه يولد في هذا العام	قتادة	24
38	قال موسى يا رب أجد في هذه الألواح	ابن عباس	120
39	قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم	حذيفة	86
40	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى	ابن مسعود	76
41	كان صاحب موسى أشرون ابن أخي شعيب	عمر	88
42	كان لا يرفعه إلا عشرة	ابن عباس	38
43	كانوا من أول النهار سحرة	ابن عباس	63
44	كانوا سبعين رجلا	عقبة بن المنذر	62

45	كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ طسم	عتبة	50
46	كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ طس	قتادة	45
47	لاغيا من كل شيء إلا من ذكر موسى	أبو سعيد الخدري	27
48	لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس	أنس بن مالك	105
49	لما دعا نبي الله موسى صاحبه إلى الأجل	المغيرة بن شعبة	57
50	لما سأله أهل نجران عن قوله يا أخت هارون	ابن مسعود	88
51	لقد شهدت من المقداد مشهدا	ابن عباس	93
52	لما قالت لك قالوا لها ما يدريك	ابن عباس	31
53	لما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي		81
54	لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا الذي	ابن عباس	66
55	لو اقتحمتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم	ابن عباس	56
56	ليس الخير كالمعاينة	زيد بن أسلم	111
57	ما تحلى يعني من العظمة إلا قدر الخنصر	ابن عباس	104
58	المراد بالدم الرعاف	ابن عباس	72
59	مراده غير السحرة فإنهم كانوا من القبط	ابن عباس	74
60	من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى	ابن عباس	27

فهرس الألفاظ الغريبة

رقم التسلسل	الكلمة	رقم الصفحة
1	الفارغ	26
2	الجنب	27
3	الصهر	29
4	ترفه	32
5	مرأى	32
6	العشائين	34
7	جمع كفه	37
8	استقى	38
9	ترف	40
10	حافيا	41
11	كم	43
12	أفرس	48
13	عفة فرجه	50
14	أوفى	54
15	اقتحمت	55
16	جولة	56
17	بقية	58
18	أمن	59
19	المودج	59

61	الطفيشل	20
62	العرفاء	21

66	المتلفة	22
69	التقذر	23
73	القشور	24
74	لعال	25
76	حزبه	26
79	رهوا	27
81	فدسسته	28
85	ظهر	29
89	أنواط	30
99	سبحات	31
100	فدك	32
103	فساخ	33
105	قائمة	34
109	يخور	35
110	عاين	36
113	على أثر	37
117	هدنا	38
121	غرس	39

فهرس الأعلام

رقم التسلسل	الأعلام	رقم الصفحة
1	بدر الدين الزركشي	13
2	محمد بن إسحاق	18
3	أبو صالح باذام	23
4	معمر بن المثنى	26
5	عبد الرحمن بن زيد	27
6	قتادة بن دعامة	28
7	عبد الرزاق بن همام	32
8	ابن جريج	32
9	علباء بن أحمد	32
10	سعيد بن جبير	34
11	عكرمة	35
12	السدي	36
13	أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه	38
14	عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	40
15	عطاء بن السائب	42
16	عبد الكريم بن هوازن	45
17	جلال الدين السيوطي	47
18	أبو بكر بن مردويه	67

	أحمد بن حنبل	19
51	أنس بن مالك	20
51	أبو يوسف القاضي	21
54	أبو ذر الغفاري	22
58	الحسن بن يسار	23
68	سلمان الفارسي	24
71	الأخفش	25
87	أبو مسلم	26
99	السعدي	27
76	ابن العثيمين	28
98	القرطبي	29
101	محمد بن علي	30
102	أبو العالية	31
106	إبراهيم التميمي	32
107	الضحاك	33

فهرس المصادر والمراجع

- ابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي، ناشر: دار القلم بدمشق الطبعة الأولى.
- آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي "مُحَمَّد بن بشير بن عمر الإِبْرَاهِيمِي (ت ١٣٨٥هـ) جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإِبْرَاهِيمِي. الناشر: دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، ١٩٩٧
- أسد الغابة في معرفة الصحابة عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م [ثم أعادوا نشرها مرارًا بنفس ترقيم الصفحات]
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي [ت ١٣٧٨هـ] الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية
- الإكليل في استنباط التنزيل عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت هـ - ١٩٨١ م
- البحر المحيط (في التفسير) محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي [ت ٧٥٤هـ كذا على غلاف المطبوع! والصواب (ت ٧٤٥هـ) كما في مصادر ترجمته] بعناية: صدقي محمد جميل العطار (ج ١ و ١٠) - زهير جعيد (ج ٢ إلى ٧) - عرفان العشا حسونة (ج ٨ إلى ١٠) الناشر: دار الفكر - بيروت
- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي الناشر: دار ابن الجوزي - الرياض الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ - ١٤٣٦ هـ)
- البداية والنهاية عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف بـ (ابن كثير) (ت ٧٧٤هـ) طبع: مطبعة السعادة - القاهرة (الجزء الأول فقط، طبع مطبعة كردسان العلمية بمصر، لصاحبها فرج الله الكردي) الطبعة: الأولى، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ
- بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
- التفسير البسيط أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)
- أصل تحقيقه: (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ
- التبيان في تفسير غريب القرآن أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت ٨١٥هـ) المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق: طارق فتحي السيد الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- تذكرة الحفاظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)
- وضع حواشيه: زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد] المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الخنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب
- الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ
- التسهيل لعلوم التنزيل أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
- تفسير القرآن الكريم «سورة ص» محمد بن صالح العثيمين الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- تفسير ابن عرفة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت ٨٠٣هـ) المحقق: جلال الأسيوطي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م
- تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاري (ت ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- تفسير البيضاوي، نوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
- تفسير الثعلبي، لكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م
- تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى
- تفسير الرازي، فاتح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)
- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- تفسير الشربيني السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة
- الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- تفسير السمرقندي بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)
- تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التيمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- تفسير العليمي فتح الرحمن في تفسير القرآن المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ) اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخریجا: نور الدين طالب
- الناشر: دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية) الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

- تفسير القاسمي، محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
- تفسير القرآن العظيم المؤلف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين
- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- تفسير الماوردي = النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠ هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤ هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو [ت ١٤٤٢ هـ] الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- التلخيص للذهبي، ختصر استدراك الحافظ الذهبي على مُستدرك أبي عبد الله الحاكم المؤلف: ابن الملتن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤ هـ) تحقيق ودراسة: ج ١، ٢: عبد الله بن حمد اللحيّدان ج ٣ - ٧: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ
- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد عبد الهادي المقدسي (ت ٧٤٤ هـ) تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن السعد تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله، عبد العزيز بن ناصر الحباني الناشر: أضواء السلف - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال المؤلف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، (١٤٠٠ - ١٤١٣ هـ) (١٩٨٠ - ١٩٩٢ م)
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠ الطبعة: بدون تاريخ نشر
- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

- الدرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة لأحمد بن علي المقرئ، ناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى، لمحقق د محمود الجليلي.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند عدد الأجزاء: ٦ (تباعاً) الطبعة: الثانية (١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م) -
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكليدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (ت ٧٦١ هـ) المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي [ت ١٤٣٣ هـ]. الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦
- جامع الرسائل المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)
- المحقق: د. محمد رشاد سالم الناشر: دار العطاء - الرياض الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- ذيل تذكرة الحفاظ المؤلف: شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي (ت ٧٦٥ هـ) وضع حواشيه: زكريا عميرات مطبوع بآخر: "تذكرة الحفاظ" للذهبي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية
- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧ هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني [ت ١٤٢٠ هـ] الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى لمكتبة المعارف
- سنن ابن ماجه ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ] الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي
- سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد [ت ١٣٩٢ هـ] الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بجرم بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني [ت ١٤٤٣ هـ] الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩ هـ) حققه: محمود الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط [ت ١٤٢٥ هـ] الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت
- الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- معجم الصحابة أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت ٣٥١ هـ) المحقق: صلاح بن سالم المصري الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ
- معرفة الصحابة أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- صحيح البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببلاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوَّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بتقديم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة
- صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)
- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ] الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م
- طبقات المفسرين للداوودي محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر
- طريق المهجرتين وباب السعادتين المؤلف: الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) حققه: محمد أجمل الإصلاحي خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري راجعه: سعود بن عبد العزيز العريفي - علي بن محمد العمران الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم)
- العَدْبُ النَّمِيْرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيْطِيِّ فِي التَّفْسِيْرِ [آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (٢)] المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ) المحقق: خالد بن عثمان السبت الناشر:

دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم)

- غريب القرآن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)
- المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

• غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب محمد بن عؤنير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى: ٣٣٠هـ) المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران الناشر: دار قتيبة - سوريا

- الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
- فتح الباري بشرح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ] قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب [ت ١٣٨٩ هـ] الناشر: المكتبة السلفية - مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ

• فتح الغفار بشرح المنار المعروف بمشكاة الأنوار في أصول المنار وعليه بعض حواشي البحراوي ط العلمية مؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجم الحنفي

- قسم: الفقه الإسلامي [تعديل] الناشر: دار الكتب العلمية
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

• الفصول في سيرة الرسول ﷺ أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي [ت ١٤٣٣ هـ]، محيي الدين مستو [ت ١٤٤٢ هـ] الناشر: (مؤسسة علوم القرآن - دمشق)، مكتبة دار التراث - المدينة المنورة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ

- قصص الأنبياء
- الكشف لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ت ٥٣٨ الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتب العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٤٧ هـ ١٩٨٧ م.

• كفاية المستقنع لأدلة المقنع لأبي المحاسن يوسف بن محمد المقدسي ت ٧١٩ هجرية.

- المجالسة
- مجموع الفتاوى لابن تيمية
- المجموع شرح المذهب لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ت ٦٧٦، ناشر: مطبعة التضامن الأخوي القاهرة عام النشر ١٣٤٧.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١ تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة.
- مصباح الزجاجاة
- معالم التنزيل ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي.
- معاني القرآن للزجاج
- معترك الأقران في إعجاز القرآن.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين ت ٣٩٥، لمحقق عبدالسلام محمد هارون، لناشر، ار الفكر عام النشر: ١٣٩٩.
- المفردات للراغب.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ت ٦٥٦ هجرية حققه معلق عليه مقدم له، حي الدين ديب احمد محمد السيد، لناشر: دار ابن كثير دمشق، يروت، ار الكلم الطيب دمشق.
- المنتقى من فتاوى الفوزان.
- ميزان الاعتدال
- نظم الدرر للبقاعي
- النكت الدالة على البيان للقصّاب.
- نيل الأوطار لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ت ١٢٥٠ هجرية تحقيق عصام الدين، لناشر: دار الحديث مصر الطبعة الأولى ١٤١٣.
- الوجيز للواحدي.

فهرس الموضوعات

رقم التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
1.	مقدمة	1
2.	التعريف بالموضوع	1
3.	أسباب اختيار الموضوع	1
4.	أهمية الموضوع	2
5.	إشكالية البحث	2
6.	منهج البحث	2
7.	الدراسات السابقة	3
8.	خطة البحث	5
9.	التمهيد	7
10.	النقطة الأولى: التعريف بالمؤلف الإمام ابن كثير رحمه الله	8
11.	أولاً: اسمه ومولده ونشأته	8
12.	ثانياً: شيوخه ورحلاته في طلب العلم	9
13.	ثالثاً: ثناء العلماء عليه	10
14.	رابعاً: تلامذته	11
15.	خامساً: آثاره العلمية	11
16.	سادساً: وفاته	13
17.	النقطة الثانية: التعريف بكتاب البداية النهاية وذكر منهج مؤلفه العام فيه	14
18.	التعريف بالكتاب البداية والنهاية	14
19.	النقطة الثالثة: منهج الإمام ابن كثير وأسلوبه في إيراد الروايات التفسيرية	20

